تاريخ المصريين ٤

التيارات الفكرية في مصر المعاصرة

دكتور
محمد نعمان جلال

تاريخ المصريين ٤

التيارات الفكرية
في مصر المعاصرة

دكتور
محمد نعمان جلال



الهيئة المصرية العامة للكتاب
١٩٨٧

رئيس التحرير
د. عبد العظيم رمضان

الأخراج الفنى : محمد قطب

الغلاف : اسامه سعيد

تقـديـم

يسعدنى أن أقدم للقارىء الكريم الكتـاب الرابع من سلسلة « تاريخ المصريين » ، عن « التيارات الفكرية فى مصر المعاصرة » ، للدكتور محمـد نعمان جـلال ، الحاصل على درجة الدكتوراه فى العلوم السياسـية من جامعة القاهرة ، وله دراسات عديدة منشورة فى المجلات المتخصصة عن البنيـان السـياسى المصرى والسياسـة الخارجية المصرية وحركة عدم الانحياز والعـلاقات بين الصين واليابان ٠

يتناول المؤلف فى هذا الكتاب التيارات السياسـية والفكرية فى مصر المعاصرة ، من واقع تحليل كتابات المفكرين والسياسيين والكتاب المصريين المعاصرين عن القضايا المعاصرة ٠ فقد تناول التيار القومى العربى ، وتعرض لقيامه واخفاقه ٠ كما تنـاول التيار الوطنى المصرى ، وتتبع جذوره فى التاريخ المصرى ، وتحدث عن كتابه ٠ ثم تنـاول التيـار الدينى ، وتحدث عن أصوله ، وانتعاشه على يد المفكرين المعاصرين ٠ كذلك

تناول التيار اليسارى ، وتياراته الفكرية ومذاهبه .

وفى الفصل الثانى من كتابه ، تنـاول المؤلف أهم القضايا السياسية والفكرية التى شغلت مصر ، فتعرض لقضية الزعامة ، والصراع الفـكرى الذى دار حـول زعامة عبد النـاصر وهل كان زعيما حقـا أم أنه كان أكذوبة كبرى فى التاريخ العربى ، كما تناول الصراع حول حقيقة زعامة السادات ، وهل كان زعيما واقعيا أم أنه كان خائنا لمصر والعرب . ثم تناول قضية الحكم الاسلامى ، واجتهادات المفكرين حوله ، وهل الاسـلام دين ودولة أم أنه دين وأمة . وانتقل الى قضية الشخصية المصرية وصلتها بالقوميـة العربيـة ، وتنـاول الأزمة السلوكية فى المجتمع المصرى ، وأثر نكسة ١٩٦٧ فى ايجاد ردة حضارية ، ومحاولة تحطيم شخصية الشعب . وقضية الديموقراطية ، وانعكاسات التيارات الفـكرية على قضايا مصر المعاصرة .

أما الفصل الثالث فتناول فيه المؤلف تيار السلام فى المجتمع المصرى المعاصر ، وتتبعه فى التـاريخ المصرى القديم وبعد قيام دولة اسرائيـل ، وكان من رأيه أن قراءة خطب عبـد الناصر وتحليل مواقفـه السياسـية تشير الى أن مسعاه كان فى المقام الأول سلميا . كمـا

تحدث عن مبادرة السلام المصرية ، وتراوح موقف الكتاب والمفكرين والسياسيين من هذه المبادرة بين الرفض والتأييد .

وقد انتهى من تحليله وعرضه الى أن مصر مجتمع يموج بتيارات متعددة تعكس الحرية الاعلامية السائدة ، كما تعكس ديناميكية الفكر المصرى ، وأن المفكرين المصريين بوجه خاص عليهم دور رئيسى ، يجب ألا ينطلق من نظرة شيفونية متعصبة ، وانما من مركز مصر فى قلب العالم العربى .

والكتاب ــ على هذا النحو ــ يقدم سياحة فكرية من وجهة نظر المؤلف ، قد يتفق البعض معه فيها وقد يختلف ، ولكنها سياحة مهمة لاكتشاف الخريطة الفكرية لمصر المعاصرة .

د. عبد العظيم رمضان

مقدمة

نقدم فى هذه الدراسة الموجزة عرضا سريعا لاهم خصائص التيارات السياسية والفكرية السائدة فى مصر المعاصرة ، ويأتى التيار السلمى والنزعة نحو السلام فى مقدمة هذه التيارات . وهذه النزعة هى محصلة لتفاعل حى وواع وخلاق للشخصية المصرية وللمجتمع المصرى بطوائفه وفئاته واتجاهاته السياسية . وفى تحليلنا اعتمدنا على التعبيرات المكتوبة لبعض المفكرين والسياسيين والكتاب تجاه القضايا التى أثيرت ومازال بعضها قائما ومطروحا على بساط البحث فى مصر المعاصرة . واذا كنا قد خصصنا فصلا مستقلا للتيار السلامى مع اسرائيل فان مرجع ذلك حداثته وخطورته فى نفس الوقت . ونأمل من خلال ذلك المساهمة ولو بقدر متواضع فى وضع لبنة تنير الطريق للباحثين وتساعد رجال السياسة وصناع القرار على

ادراك مكونات هذا الشـعب وما يعتمل فى داخـله من آراء واتجاهات · كما نأمل أن تساعد هذه الدراسة على توضيح بعض النقاط أمام طلاب الحقيقة الذين ينشدون الوفاق والوئام لا الشـقاق والخصـام انطلاقا من أن الحقيقة نسبية من حيث الادراك وان تكن مطلقة من حيث الوجود الذى يستعصى على الفهم البشرى المحدود ، مهما أوتي من علم ، الاحاطة بها والله ولى التوفيق ،،،،،

التيارات الرئيسية

يمكن القول ان أبرز سمات الفكر المصرى المعاصر، ونقصد به الفكر الذى ساد وما زال منذ بداية النصف الثانى من القرن العشرين ، أنه يعيش حالة من التنوع والصراع . فالتنوع نتيجة تعدد الاتجاهات والمذاهب والصراع الناتج عن شدة الاختلاف بين تلك الاتجاهات والمذاهب ، الأمر الذى يصيب المتتبع لتطور هذا الفكر وانعكاس هذا التطور على الحركة السياسية ، أحيانا بحالة من الدوار والارتباك مما يجعله يفقد القدرة على التمييز ويشعر بنوع من الضياع ولكن تعمق بحث هذه الظاهرة يقدم لنا دلالة أخرى الا وهى ثراء الفكر المصرى وحيويته رغم ما عاناه من ضغوط سياسية متعددة تبعا للظروف السياسية والصراع الاجتماعى الذى عاشته مصر بوجه خاص منذ ثورة ١٩٥٢ بمراحلها المختلفة .

وللتدليل على ما ذهبنا اليه يمكن القول بان استقصاء التعبيرات التى صــدرت عن أبرز المفـكرين المصريين والمعاصرين توضـح لنا وجود اتجاهات أربعة حكمت حركة الفكر وأثرت فى التعبير السياسى عنه ليس فى مصر وحدها بل فى معظم الدول العربية نظرا لوقوع مصر فى منتصف العالم العربى لا جغرافيا فحسب بل سياسيا واقتصاديا وثقافيا ٠

التيار القومى العربى

ويعتمد هذا الاتجاه على وجود عناصر تشابه بين الدول العربية التى من أبرزها الانتماء لحضارة واحدة وهى الحضارة العربية الاســلامية كما فى وجهة نظر البعض والنمط الحضارى أو الثقافى العربى كما فى وجهة نظر البعض الآخر (١) ٠ وفى الحالتين فان هــذا الاتجاه يركز على عناصر الاشتراك فى اللغة ، والتاريخ، والتجاور الجغرافى ، وتشابه العادات والتقاليد والقيم ويحتل الدين مكانه أيضا فى هذا الاتجاه أما الوحدة

---

(١) د٠ زكى نجيب محمــــود « قضية تســـتحق النظر » جريدة الأهرام ١٩٨٤/٢/١٣ ص ١٣ ٠

العنصرية فلها وجـود هامشى على أسـاس أن النقـاء العنصرى غير قائم فى العـالم ، كما ان العـرب فعليا لا ينتمون لعنصر واحد أى تتعدد عناصرهم ، ومن هنا فان الاتجـاه للعـروبة يعبر عن تاريخ ماض واشتراك فى عناصر حاضرة وأمل فى توحد فى المستقبل فى ظل الاتجاهات المعاصرة نحو الكيانات الكبيرة فى العالم . ومن أبرز المفـكرين المعبرين عن هـذا الاتجاه ساطع الحصرى الذى يعد من أكثر المفـكرين العرب كتابة فى هـذا المجال كذلك نشر ميشيل عفلق وصـلاح البيطار كتابا بعنوان « القومية العربيـة » عام ١٩٤٤ وجورج أنطونيوس كتابا بعنوان « يقظة العرب » عام ١٩٤٦ وغيرهم (٢) .

واذا كان هـذا الاتجـاه نشأ فى أحضـان مفكرى المشرق العربى بل ووجد أول تعبير سياسى عنه فى فكر حزب البعث الذى تكون فى سـوريا ولبنان فى أوائل الأربعينات الا أنه استمد روحه الحقيقية وكيانه عندما تبناه جمال عبد الناصر فى مصر التى أصبحت فى عهده بحق قبلة العـالم العربى ومنـارته وتسـابق الكتـاب المصريون وغيرهم فى تقديم الدراسات والتحليلات التى

(٢) من الملاحظ أن معظم رواد فكرة القومية العربية فى سوريا من المسيحيين وكانت لهم مصلحة لابرازها لمناهضة فكرة الجامعة الاسلامية .

توضح أصالة فكرة العروبة وارتباط مصر بها وحتمية بلورتها سياسـيا فى وحدة واحدة كانت نواتهـا قيام الجمهورية العربيـة المتحدة بين مصر وسـوريا ١٩٥٨ والتى انفصمت عراها فى سبتمبر ١٩٦١ بانفصـال سوريا ٠

الا أن هذا الاتجاه الفكرى الذى كان مسيطرا حتى منتصف السـتينات اخذ يتلقى الصـدمات واحدة اثر الأخرى ومن آبرزها انفصال سوريا فى سبتمبر ١٩٦١ ثم هزيمـة العرب فى حرب يونيو ١٩٦٧ والقطيعـة العربية مع مصر منذ عام ١٩٧٧ ٠

وينبغى أن نشـير الى بعض العوامل التى آدت الى اخفاق المد القومى العربى :

١ ـ ان الحركة العربية اعتمدت على العنصر الشـخصى الكارزماتى **لجمـال عبد الناصر الذى لم تكن له أيديولوجية** واضحة المعالم قبل أن يتولى السلطة فى مصر ٠ فأيديولوجية جمال عبدالناصر وليدة السلطة وليست سلطته وليدة الأيديولوجية و نتيجة لذلك جاء فكره متنـوعا وأحيـانا متضـاربا تبعـا لسيطرة

أو اقتراب جمـاعة ما من المـفكرين فى فترة ما أو اقتراب جماعة آخرى فى مرحلة تالية فضـلا عن ردود فعله الشخصية ازاء تطور الأحداث فى المنطقة ٠

٢ ــ انعدام التنظيم ٠ فمن المعروف آن عبد الناصر لم يكن يثق كثيرا فى التنظيمات السياسية ولم تنجح أية تنظيمات فى عهده سواء فى مصر آو خارجها تحمل اسمه ٠ فلم يستطع بناء حزب حقيقى تكون مهمته التوعية للجماهير وتجنيد المؤمنين به ودليل ذلك تعدد اسم الحزب وتشكيلاته فى مصر وضخامة عدده باعتباره حزب السـلطة والوحيد المطروح على الساحة ، وكذلك ضعف الحزب الناصرى آو حتى حزب القوميين العرب المتحالفين مع الناصرية على السـاحة العربيـة فى مواجهـة البعث العربى الاشتراكى مثلا فى حين لم تصل آية شخصية من قيادات حزب البعث لمركز المنافسـة مع شـخصية عبد الناصر ٠

٣ ــ وينبع من الثانى لجوء عبد الناصر للعمل السرى فى العالم العربى عن طريق أجهزة المخـابرات وكان عبد الناصر ما يزال يفكر بعقلية المرحـلة التى

عاشـها في الاعـداد للثورة في مصر غير مـدرك لتعقيدات الـواقع العـربي مقـارنة بالأوضـاع المصرية ·

٤ ـ مخاطبة عبد النـاصر للجماهير العربية مبـاشرة متخطيا حكوماتها ومستفيدا من ثورة الاتصـالات فاثار ذلك ضده الحكومات العربية المختلفة وكذلك الجماعات ذات المصـالح الخاصـة · حتى يقـال ان ثورة اليمن هي ثورة الترانزسـتور لتأثير أجهزة الراديو على جماهير الشـعب اليمنى في الاعداد للثورة والاستماع لمحطة صوت العرب القاهرية · هذه العوامل أثرت فيما بعد ليس فقط في الاتجاه العربي في مصر ولا في حركة المـد القـومي في الدول العربية جميعا فحسب بل وأيضا في الاتجاه الناصري في مصر ذاتها · وليس معنى ذلك اختفاء هذا الاتجاه بل انه ظل قائما ومايزال في أوساط المثقفين والاحزاب الناصرية والبعثية والقوميين العرب · وفي مصر فان هذا الاتجاه قائم ومعترف به رغم موجة المصرية التي سـادت طوال حـكم الرئيس الراحل أنور السادات ·

ـ التيار الوطنى المصرى (٣)

وهذا التيار عميق الجذور اذ آنه يستند الى أساس تاريخى أقـدم من مفهوم القوميـة العربيـة · فمن الناحية التاريخية نشأت حضـارات مختلفة فى المنطقة الجغرافية المسماة بالعالم العربى اليوم ومن آبرز تلك الحضـارات ثـلاث : الفرعونيـه فى مصر ـ البابليـة والأشورية فى العراق ـ الفينيقية فى سوريا ولبنان · وفى ظل الدولة الاسلامية الموحدة تعددت مراكز الاشعاع الحضارى أيضا ومثلت دول الحضارات القديمة مراكز اشعاع ثقافى ودينى متنافسة ، وانعكس ذلك على الصراع السياسى فيما بينها · فمصر لاهميتها الاقتصادية كانت من أبرز الولايات التى احتدم عليها التنافس بين مؤيدى على ومعاوية عندما كان يسعى كل منهما لجذب الأنصار والمؤيدين (٤) · كما ان قيام الدويلات المختلفة مثل الحمدانية فى حلب والطولونية والاخشـيدية فى مصر

---

(٣) من المتبنين للتيار المصرى حاليا أنيس منصور فى مقالاته فى مجلة أكتوبر التى كان يرأس تحريرها عامى ٨٤/٨٣ ، وكذلك فى كتابه « صالون العقـاد » الذى نشر فى حلقات ثم فى كتاب · كما أنه كان يتيح المجال فى مجلة أكتوبر لناقدى الاتجاه العربى فى مصر ·

(٤) انظر دراسة عبد الرحمن الشرقاوى المنشورة فى الأهرام الاسـبوعى فى ١٩٨٣ بعنوان « على امام المتقين » ·

فى مواجهة الدولة العباسـية فى بغداد ليس الا مظهرا آخر لهذا التنافس • وفى العصر الحديث مثلت كل من القاهرة ـ دمشق ـ بغداد مراكز متنافسة ، وأحيـانا يتعاون مركزان ضد الثالث ، وتاريخ العالم العربى منذ الحرب العالمية الثانية حتى الآن خير شاهد على ذلك • وحدة مصر وسوريا عام ١٩٥٨ ضد حلف بغداد وقيام الثورة العراقيـة التى رغم قوميتهـا فانهـا فى ظـل عبد الكريم قاسم ناصبت عبد الناصر العداء ولم يتغير الأمر جـوهريا بعـد ذلك • الانفصـال والصراع بين المراكز الثلاثة رغم رفع كل منهـا شـعار الوحدة وفى مفاوضات الوحدة الثلاثية عام١٩٦٣ بين مصر وسوريا والعراق تنافست سوريا والعراق رغم حكم البعث لكل منهما منذ البداية • تعارض موقفى سوريا والعراق من الحرب العراقيـة الايرانية ليس الا تعبيرا حديثـا لظاهرة قديمة الجذور •

واذا انتقلنا لمصر نجد الفـكرة الوطنية تعبر عن نفسها بقـوة واعتزاز بالأصـالة الفرعونيـة ويظهـر ذلك بخاصة فى كتابات المفكرين الاقباط فى مصر ومن أبرزهم الدكتور لويس عوض الذى يتطرف آحيانا فى

التأكيد على المصرية (٥) وان لم يقتصر الاتجاه عليه وحده الا على الأقباط المصريين وحدهم ، بل ان له أنصاره بين المفكرين المسلمين فى مصر ولعل أبرزهم الدكتور حسين مؤنس والصحفى محمود عبد المنعم والفيلسوف زكى نجيب محمود والأديب توفيق الحكيم وأيضا الدكتور جمال حمدان والدكتورة نعمات أحمد فؤاد • وينبغى هنا ان نؤكد على نقطة فى غاية الأهمية هى أن دعاة المصرية لا يرون تعارضها مع فكرة العروبة (٦) وانما يرون ان لها الاولوية فى الاهتمام فكريا والعمل سياسيا واقتصاديا • فى حين أن دعاة العروبة يرون تعارضها مع الذات القومية للوحدات المكونة لها ، ولهذا فان الناصرية فى أوجها تجاهلت من الناحية الفعلية

---

(٥) راجع العديد من كتابات الدكتور لويس عوض ومن أبرزها فى هذا الشأن :

ــ تطور الفكر المصرى منشور فى سلسلة كتاب الهلال فى جزئين •

ــ مقالات بعنوان « مصر تواجه ماضيها » مجلة المصور انظر على سبيل المثال المقال المنشور فى ص ٢٠ ــ ٢١ فى العدد الصادر بتاريخ ١٩٨٣/٩/١٦ •

(٦) جمال حمدان « شخصية مصر : دراسة فى عبقرية المكان » كتاب الهلال عام ١٩٦٧ ثم طورها الى موسوعة ضخمة •

ــ نعمات أحمد فؤاد « شخصية مصر » الهيئة العامة للكتاب . القاهرة ــ ١٩٧٨ • انظر مثلا مقال د• زكى نجيب محمود « قضية تستحق النظر » وأيضا مقالات محمود عبد المنعم مراد ومحمد جلال كشك فى مجلة أكتوبر خلال عام ١٩٨٣ •

اسـمى مصر وسـوريا وأطلقت عليهما الاقليم الجنوبى (مصر) والاقليم الشمالى (سوريا) والحركة الفلسطينية فى أواخـر الستينات وأوائل السـبعينات رفعت شـعار تحرير فلسطين يتم من خلال تحرير البلاد العربية من النظم الرجعية القائمة فيها ، وكان مؤدى هذا الشعار فى ذاته اضـعاف الحـركة الفلسطينية واثارة عـداء النظم السياسية القائمة وكان معنى ذلك عدم وضـوح الرؤيا امام المقاومة الفلسطينية لأنها وضعت أمامها هـدفا خياليـا لا يتمشى مع طبيعتهـا ودورها كحركة فلسطينية ، لأن عبد الناصر وهو زعيم عربى ورئيس دولة كبرى فى المنطقة أخفق فى ذلك بتجربة الجمهورية العربية المتحدة ، وأيضا عندما حاول انشاء تنظيم أسماه الحركة العربية الواحـدة وجنـد له عددا من المفكرين السوريين والعراقيين فضلا عن المصريين الا ان الحركة ظلت فكرة أكثر منها حركة أو تنظيما وكان على المقاومة الفلسطينية ان تأخذ الدرس والعبرة من التجارب التى سادت فى المنطقة ، وأعتقد أن ذلك تحقق بدرجة كبيرة الآن ٠

ومن الضرورى القاء بعض الضوء على أبرز معالم هذه المفاهيم :

١ ـ يؤكد توفيق الحكيم فى كتاباته الأدبية ذات المضمون السياسى مثل عودة الروح التى آلفها عام ١٩٢٦ وكانت تعبيرا عن روح مصر وآملا فى عودة تلك الروح القديمة والأصيلة كما تحدث فيها عن مفهوم الزعيم وقد آلهمت هذه القصة عبد الناصر فى بداية تفكيره وسيطرت على تصوراته (٧) ، وكذلك فى كتابه بعنوان « عودة الوعى » الذى صدر عام ١٩٧١ وهو نقد للتجربة الناصرية ولدور المثقفين ومن المعروف أن أبرز ملامح تلك التجربة كانت فكرة العروبة وكتابه « مصر بين عهدين » الذى صدر عام ١٩٨٣ يؤكد فيه على الروح المصرية وأن أبرز ملامحها العلم والايمان والفن، فالأهرامات الفرعونية عمارة وهندسة وفلك وكهانة، والحضارة المصرية تتميز بالشمول والاستقرار اذ أن المصريين عاشوا على أرضهم منذ آلاف السنين وحضارة مصر قامت على ذلك ، بعكس حضارة العرب التى قامت

(٧) توفيق الحكيم : « عودة الروح » عام ١٩٢٦ ، « عودة الوعى » عام ١٩٧١ ، « مصر بين عهدين » عام ١٩٨٣ .

على القلق والحركة ولذا انطلق العرب من شبه الجزيرة بالاسلام ومن ثم فان مصر والعرب متناقضان أحدهما يمثل الروح والسكون والاستقرار والبناء والآخر يمثل السرعة والحركة ويتمنى الكاتب ان تتزاوج الحضارتان (٨) ٠

٢ ـ ولزكى نجيب محمود مقالتان فى غاية الأهمية الأولى بعنوان « قضية تستحق النظر » يوضح الوضع الفريد لمصر وتداخل الانتماءات الثلاثة المصرية والعروبة والاسلام ويؤكد على أولوية المصرية باعتبار ان المصريين ينتمون لمصر قبل العروبة ومصر جزء من العرب قبل أن تنتمى لأمة الاسلام لأن الانتماء العربى يرتبط بالنمط الثقافى والانتماء الاسلامى يرتبط بالعقيدة التى هى جزء من الثقافة ولا يقلل من آثر ذلك كون العروبة جاءت لمصر على حصان اسلامى ٠

والثانية : بعنوان « أعجاز نخل خاوية » « نشرت بجريدة الأهرام ص ١٣ بتاريخ ١٩٨٤/١/١٦

---

(٨) موسى صبرى « توفيق الحكيم ينظر ٠٠ » مجلة أكتوبر ١٥ يناير ١٩٨٤ ص ١١ ـ ١٣ ٠

اوضح فيها الأزمة السـلوكية فى المجتمع المصرى وسنعرض لذلك فيما بعد .

٣ ــ اتجاه محمود عبد المنعم مراد وهو ينتقـد بشـدة فكرة الوحـدة العربية ويقول « القومية العربية جديرة بأن يتغنى بها ولكن هدفها ، وهو الوحدة العربية جدير بأن نرثى له ونبكى عليه . والواقع الذى يصم الآذان ، كفيل بان يثبت ذلك فى جميع الأذهان (٩) ويضيف بأن عبد الناصر وافق عـلى الوحدة متحديا وجهات نظر زملائه ورفاقه مثل كمال الدين حسين وعبد اللطيف البغدادى .

ويضيف بعض الكتاب من أنصار هذا الاتجاه على سبيل التهكم بأن حساب المكاسب الاقتصادية المصرية من اتجاهها نحو العرب يشير الى ان ماحصلت عليه مصر فى ٣٠ سـنة من الحروب العربيـة هو ٨ر٥ مليار دولار فى حين تحصل العراق على هذا الرقم فى ٤ شهور فى حربها مع ايران ، تلك الحرب

---

(٩) محمود عبد المنعم مراد « الوحدة العربية بين المحاولات والنتائج » مجلة أكتوبر ، ١٥ سبتمبر ١٩٨٣ ص ١٤ ــ ١٥ .

ــ مهزلة الوحدة ومأساة الانفصال ــ مجـلة أكتوبر ــ ٢ أكتوبر ١٩٨٣ ص ١٦ ــ ١٧ .

التى لا معنى لها بعكس نضال العرب ضد اسرائيل لتحرير فلسطين أو على الأقل لاثبات الهوية الفلسطينية ويضيفون بان الكويت خسرت فى عملية مضاربة واحدة بسوق المناخ (فى الكويت) ٩٠ ألف مليون دولار فى ٢٤ ساعة • واعتقد ان مثل هذه الأرقام تعوزها الدقة وان كانت تعبر عن نوع من الضيق والاحباط من قبل بعض المصريين •

التيار الدينى :

رغم الضغوط الاستعمارية ونشاط جمعيات التبشير المسيحية الغربية الا أن اثرها فى المنطقة العربية الاسلامية محدود ، وكذلك رغم المد اليسارى فى بعض فترات الحكم الناصرى وخاصة منذ أوائل الستينات حتى نكسة ١٩٦٧ فان الفكر الدينى ظل سائدا فى مصر كتعبير عن أصالة النزعة الدينية التى ترجع للجذور التاريخية للمجتمع المصرى منذ عهد الفراعنة وأيضا للمجتمع العربى قبل الاسلام حيث عبد العرب الاصنام فى تفكيرهم الدينى وكذلك للجذور التوحيدية

التي ارتبطت باليهودية ثم المسيحية وآخيرا تبلورت فكرة التوحيد فى أبهى صورها فى قيام الاسلام · وانعكاس الفكر التوحيدى الدينى آثر فى التطور الفكرى والسياسى الذى أصبح يؤمن بالوحدة فى الاتجاه السياسى والدينى وكل فريق يكفر ما عداه ويحكم على أن اتجاهه هو الأصوب والأحسن، وآثر ذلك فى عدم تطور وبروز التسامح السياسى مع الفرق المعارضة لأن مؤداها تطور الأحزاب والديمقراطية كما حدث فى الحضارة الغربية لكن عدم التسامح السياسى الاسلامى لم يكن مقترنا بعدم تسامح دينى ، اذ آن اختلاف العقيدة ظل قائما بين المسلمين وغيرهم من المسيحيين واليهود ولم يكن الآخرون الا موضع احترام وتقدير واحتلوا مناصب عليا فى الدولة الاسلامية · أى آن عدم التسامح السياسى لم يكن يصحبه عدم تسامح دينى وان لم يكن واسعا ليشمل الفرق الاسلامية المتناحرة · اذ التسامح الدينى كان مرتبطا بالأديان المختلفة وليس بالمذاهب والنحل فى العقيدة الاسلامية ذاتها كالصراع بين الشيعة والسنة والخوارج بل وبين الجماعات الفرعية فى كل من هذه الاتجاهات الرئيسية ·

ولسنا بصدد بحث هذه المفاهيم فى التاريخ وانما

لمجرد الاشارة لخلفية التطور المعاصر وابراز خاصيته أى استمرارية الفكر الدينى · وبعد الحرب العالمية الثانية وخاصة بعد ١٩٥٢ برز نوع من الاجتهاد المتنوع الاتجاهات · من أبرزها :

(أ) الدعوة للمواءمة بين الفكر الدينى والفكر الاشتراكى ومن أبرز الدعاة فى هذا الصدد أحمد عباس صالح والدكتور محمد عمارة والصحفى الأديب عبد الرحمن الشرقاوى والدكتور محمد أحمد خلف الله و د· مصطفى السباعى فى كتابه اشتراكية الاسلام (١٠) وغيرهم ·

(ب) الدعوة للمواءمة بين الدين والعصر الحديث فى العلوم والاجتماع والاقتصاد ومن أبرز الدعاة فى هذا الشأن عبد الرازق نوفل فى كتاباته

---

(١٠) انظر على سبيل المثال المؤلفات التالية :

ـ أحمد عباس صالح « اليمين واليسار فى الاسلام » سلسلة مقالات فى مجلة الكاتب عامى ٦٣ ـ ١٩٦٥ ثم نشرت فى كتاب بعد ذلك ·

ـ محمد عمارة ـ الاسلام والثورة ، دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ١٩٧٩ ·

ـ « العدل الاجتماعى لعمر بن الخطاب » دار الثقافة الجديده ـ القاهره ١٩٧٩ ·

ـ « الفكر الاجتماعى لعلى بن أبى طالب » دار الثقافة الجديدة ـ القاهرة ١٩٧٧ ·

ـ « عمر بن عبد العزيز » كتاب الهلال ـ القاهرة ـ سبتمبر ١٩٧٨ ·

العديدة ومنهـا « الله والعلم الحـديث » ، الشيخ محمود شلتوت شيخ الأزهـر فى آوائل الستينات فى مؤلفـاته واجتهاداته فى الفتوى ولعـل أبرز مايتميز به فكر الشيخ شلتوت آمران :

الأول : اجتهاداته فى الفتوى لربط الدين بالواقع السياسى والاقتصادى المعاصر وخاصة ما يتعلق بمعنى الربا الأمر الذى كان من شآنه اتاحة الفرصة لاستبعاد الفوائد فى البنوك الحديثة من مضمون الربا المحرم فى الاسلام · وقد انتقده عدد من العلماء فى هـذا الشأن وكذلك اجتهاداته فيما يتعلق بتنظيم الأسرة ·

الثانى : تبنيه لفكرة التقريب بين المذاهب الدينية وخـاصة بين السـنة والشيعة وايده فى ذلك عدد من المفكرين اليساريين آمثال عبد الرحمن الشرقاوى (١١) ومن احدث ما نشره الشرقاوى مقـالا بعد عودة مصر للمؤتمر الاسـلامى فى يناير ١٩٨٤ طـالب فيه مصر بتكثيف صلاتها الاسلامية وابراز آن مصر هى الدولة التي لا تعرف التفرقة بين المذاهب الاسلامية ، وتبنت منذ القدم الدعوة للتقريب بينها ، كما آبرز وآكد على دور

---

(١١) عبد الرحمن الشرقاوى « بعد العودة » الأهرام ٢٥/١/١٩٨٤ ·

الأزهر فى حفظ تعاليم الدين واللغة العربية ونشرهما ويرى ضرورة آن ينهض المؤتمر الاسلامى برسالته فى بلورة مبادىء النظام الاقتصادى والاجتماعى من واقع التراث الاسلامى وان ينهض المسئولون لتطبيق ذلك ٠

بل ان بعض أنصـــار هــذا الاتجاه يذهبون الى أن الاسلام تناول كل جوانب الحياة الاقتصادية بما فيهــا التنمية الاقتصادية فيقول الدكتور محمد فؤاد الصراف « يعتنى الاسلام بالتنمية الاقتصادية عنايته بالفرائض والعبادات بل هى من ضروب العبادات (١٢) » ٠

وكذلــك أحمــد عبده الشرباصي وآحمــد حسن الباقــورى ومحمد أبو زهــرة والدكتور زكريا البرى والدكتور عبدالعزيز كامل٠ ويلاحظ على هذه المجموعة من المفكرين انها كانت تحتل مناصب رسمية فى الدولة فى فترة الحكم الناصرى لمصر وآن لها خلفية دينية مع ثقافة عصرية (١٣) ٠

ويشير عدد من الاقتصــاديين آمثــال عبد السميع

---

(١٢) د٠ محمد فؤاد الصراف « المنهج الاسلامى فى التنمية الاقتصادية » الأهرام الاقتصادى ، عدد ١٢ سبتمبر ١٩٨٣ ص ٢٦ ــ ٢٩ ٠

(١٣) د٠ عبد العزيز كامل « الاسلام والتفرقة العنصرية » الدوحة ــ قطر ١٤٠٠ هـ ٠

المصرى « مقومات الاقتصاد الاسلامى » (١٤) وعيسى عبده « الاقتصاد الاسلامى مدخل ومنهاج » القاهرة ١٩٧٤ وكذلك عدة مؤلفات ودراسات لأنور الجندى(١٥) الى تناول الاسلام للجوانب الاقتصادية للمجتمع .

(جـ) الدعوة للسلفية بمعنى أهمية العودة للأصول الدينية النقية باعتبار أن هذه الاصول سليمة وصالحة لكل زمان ومكان وان الاسلام فى ذاته يحمل بذور التطور ومن أبرز دعاة هذا الاتجاه حركة الاخوان المسلمين وقادتها حسن البنا والهضيبى والشيخ سيد سابق وسيد قطب وعبد القادر عودة وغيرهم ، ومن هذه المدرسة أيضا الدكتور محمد البهى والشيخ محمد الغزالى فى العديد من كتبه وهذه المدرسة ترجع فى أصولها الحديثة الى آراء واجتهادات الشيخ محمد عبده فى بلورته للآراء الاسلامية ورده على المعارضين للاسلام والمتهمين الاسلام بالجمود، وانه سبب تخلف المسلمين وكذلك المؤلفات العديدة

---

(١٤) عبد السميع المصرى « مقومات الاقتصاد الاسلامى » مكتبة وهبه — القاهرة ١٩٧٥ — وانظر أيضا سلسلة المراجع فى نهاية الكتاب .

(١٥) « مشكلات الفكر المعاصر فى ضوء الاسلام » أصدره مجمع البحوث الاسلامية يونيه ١٩٧٢ .

للشيخ محمد متولى الشعراوى الذى جذب اليه العديد لفصاحته وبلاغته فى الدعوة الاسلامية (١٦) • ومن الملاحظ على هذا الفريق أن ايمانه بالفكر الاسلامى عميق لأنه نشأ فى أحضانه وقضى طوال حياته به ويرى أن سبب تخلف المسلمين ابتعادهم عن الاسلام الصحيح •

وتقوم تلك الدعوة أساسا على أن الاسلام هو فطرة الله التى فطر الناس عليها ومن ثم فانه كرسالة وعقيدة يسمو على جميع العقائد وكنظام سياسى واجتماعى يسمو على الأنظمة الوضعية القائمة سواء كانت اشتراكية أم رأسمالية وسواء دعت للديمقراطية أو غيرها باعتبار أنه دين وسط يدعو للتوازن فى كل شىء يأخذ فى حسبانه حرية الفرد وحقوقه ومصلحة الجماعة ووظيفة

---

(١٦) انظر فى هذا الشأن :

د• محمد البهى « منهج القرآن فى تطوير المجتمع » مكتبة وهبه ـ القاهرة ١٩٧٦ وانظر القائمة الطويلة لمؤلفاته والتى تربو على الثلاثين كتابا •

محمد الغزالى « مشكلات فى طريق الحياة الاسلامية » ـ قطر ـ ١٤٠٢هـ •

محمد عبده « الإسلام والمدنية » المجلس الأعلى للشئون الاسلامية القاهرة ١٩٦٤ •

سيد قطب « العدالة الاجتماعية فى الإسلام » دار الشروق ـ القاهرة ١٩٧٩ وقد نشر الكتاب لأول مرة عام ١٩٥٤ •

الدولة ، وحقوق الفقراء والأغنياء بل ان أسس العلاقات الدولية كما جاءت فى الاسلام وما أوصى به النبى المقاتلين من رآفة فى معاملة النساء والصبيان والكهنة تسمو على القوانين المعاصرة التى تسعى الوكالات التابعة للأمم المتحدة للوصول اليها (١٧) ٠

(د) الاتجاهات الدينية المتطرفة ومنها حزب التحرير الاسلامى وقد نشأ فى الأردن وامتد الى عدد من الدول العربية ومنها مصر ، وتنظيم الجهاد وجماعة التكفير والهجرة وغيرها وهى تحمل أسماء متعددة نتيجة عملها تحت الأرض لموقف السلطات الرسمية منها ٠ وأهم معالم هذا الفكر الايمان بالانقلابية لتحقيق الأهداف وتكفير كثير من المواطنين والمسئولين الحاليين فى الدول القائمة ٠

---

(١٧) انظر :

د٠ محمد البهى « الاسلام فطرة الله » مجمع البحوث الاسلامية ـ القاهرة ١٩٧٦ ٠

كامل محمد الدبونى « تهذيب الفرد فى الاسلام » مجمع البحوث الاسلامية القاهرة ١٩٧٧ ٠

د٠ يوسف عبد الهادى الشال « الاسلام وبناء المجتمع الفاضل » مجمع البحوث الاسلامية القاهرة ١٩٧٢ وانظر بوجه خاص : ص ص ٣١٧ ـ ٣٣١ ٠

وقد ساد الاتجاهان الأولان فى عهد عبد الناصر كتعبير عن التحديث والفكر الاشتراكى الذى دعا اليه وقمعت حركة الاخوان المسلمين التى تنفست فى عهد السادات الذى سمح بظهور الاتجاهات الدينية ربما فى محاولة لضرب الاتجاهات السياسية وليكسب بها بعض الشعبية ٠

الا ان نظام حكم السادات وكذلك أعوانه المقربين لم يقدموا فى رأى بعض المحللين السياسيين نموذجا للايمان ولا للاسلام الحقيقى حيث برز الفساد والرشوة والعمولات الأمر الذى أدى لبروز الاتجاهات الدينية المتطرفة وحكمت بتكفير المجتمع والحكام بل وتكفير بعض علماء الدين وانتهى ببعضها المطاف لاغتيال الرئيس السادات نفسه ٠

وينبغى الاشارة الى حقيقة هامة أن الاتجاه السلفى وان بدأ فى مصر فى ظل الاخوان المسلمين فى عشرينات وثلاثينات هذا القرن الا أنه نتيجة للقمع الذى تعرض له بعد عام ١٩٥٢ ٠ أدى الى أمرين هامين :

الأول : أن قاعدة هذا الاتجاه خرجت من مصر وعاشت فى البلاد العربية المشرقية وبخاصة السعودية والكويت وقطر والامارات ٠

الثاني : أن غلاة السلفية أصبحوا نواة الاتجاه الجديد المتمثل في الجماعات الدينية المتطرفة والتي ألهب خيالها في الوقت الحاضر نجاح ثورة الخوميني في ايران ولكن هذه الجماعات كتنظيم محدود الفعالية وان كانت الفكرة الدينية هي الأساس الدعائي لهذه الحركات عميقة الجذور في المجتمع الأمر الذي يجعل معارضتها أمرا صعبا حتى ان وزير الداخلية الأسبق في مصر حسن أبو باشا ادلى بتصريح لاحدى المجلات الأسبوعية في ٩ أكتوبر ١٩٨٣ نشر تحت عنوان « لا خصومة مع التيار الديني » (١٨) • اكد فيه حرص الدولة على الحوار مع مختلف التجمعات الدينية ، والواقع ان هذه التجمعات لا تمثل تحديا للدولة بقدر ما تمثل تحديا للفكر الديني الرسمي والتقليدي أيضا •

التيار اليساري :

تعبير اليسار يشير الى أكثر من مدرسة فكرية تتدرج ما بين الفابية الى الماركسية • وقد عرفت مصر

---

(١٨) محمد الطويل « وزير الداخلية : لا خصومة مع التيار الديني » مجلة أكتوبر عدد ٩ أكتوبر ص ٣٠ — ٣١ •

تيارا اشتراكيا تأثر بالفكر الفابى بعد الحرب العالمية الأولى وأنتشر بطريقة أكثر وضوحا بعد الحرب العالمية الثانية وحتى ثورة ١٩٥٢ · ومن آبرز دعاته سلامه موسى الذى كان يتأرجح ما بين الفابية والماركسية ومحمد زكى عبد القادر ونيقولا حداد ومحمد خطاب عضو مجلس الشيوخ الذى قدم مشروعا للحد من الملكيات الكبيرة عام ١٩٤٤ الا ان البرلمان رفضه وكذلك عارضه حزب الهيئة السعدية الذى كان ينتمى اليه مما ترتب على ذلك ان قدم أستقالته من الحزب ·

ولكن الفابية لم تنتشر فى مصر لأكثر من سبب :

١ ـ انها وليدة النظام البرلمانى البريطانى وهذا يختلف عن النظام البرلمانىالمصرى الحديثالنشأة ·

٢ ـ انها اعتمدت على الطبقة العاملة واتحادات العمال فى بريطانيا وكانت هذه الطبقة صغيرة ومحدودة النشاط فى مصر فلم تتجاوز ربع مليون عامل عام ١٩٥٢ · وصارت بعد الثورة ٣ مليون

---

(١٩) محمد سلماوى « دور الفابية فى تطور الاشتراكية الديمقراطية » فى بطرس بطرس غالى « دراسات مقارنة فى الاشتراكية الديمقراطية » مركز الدراسات السياسية والاستراتيجية الأهرام ـ القاهرة ١٩٨٠ ، ص ص ٨٧ ـ ٩١ ·

وأنشأت لهم اتحادات عمالية ووزارة أى آن الطبقة العمالية بأنشطتها النقابية والسياسية وليدة ثورة ١٩٥٢ فى المقام الأول ٠

٢ ـ أن الفابية كحركة اصلاحية تدريجية لم تتناسب مـع ظـروف مصر السياسـية والاجتماعيـة والاقتصادية التى بلغت الغـاية فى التدهو عام ١٩٥٢ الأمر الذى تطلب عملا ثوريا ٠

والـواقع آن أنصـار الفابيـة اندرجوا فى النظام الثورى المصرى ومثلوا يمين الثورة آمثال الدكتـور جمال سـعيد آستاذ الاقتصـاد بجامعـة عين شـمس وغيره ٠ فى حين انـدرج أنصـار الماركسية فى الثورة ومثلوا يسارها آمثال أحمد عباس صالح ومحمد عودة ولطفى الخولى والدكتور اسماعيل صبرى عبد الله وغيرهم وآخذ كل فريق يجذب الثورة الى اتجـاهه وكان صـدور الميثاق الوطنى عام١٩٦٢ بمثابة ميل نحو اليسارالماركسى وتعرض الاتجـاه الدينى لمزيد من القهـر وكذلك الاتجاهات المعتدلة فى الفترة من ٦٢ ـ ١٩٦٥ بل وصل الأمر الى آن لجنة التعريف بالاسلام التابعة للمجلس الأعلى للشئون الاسلامية أصدرت كتـابا

يضم أكثر من ٢٤٠ صفحة بعنوان « توحيد الأمة العربية بتطوير شرائعها وفقا للميثاق» من تأليف عبد الحليم الجندى . وباختصار يدعو المؤلف لأن يكون الميثاق هو المحور الذى تدور حوله شرائع الأمة العربية وكلمة الشريعة تنصرف للاسلام وتأخذ المسيحية معها بالتبعية . هذا فضلا عن العديد من الدراسات التى صدرت فى هذا الشأن . ولقد هاجم اليسار الماركسى الثورة منذ البداية وأسماها انقلابا وقد قاد الدكتور راشد البراوى ذلك الهجوم واتهمها بأنها من تدبير المخابرات الأمريكية وكذلك فعل كثير من أعضاء الحزب الشيوعى المصرى الأمر الذى دفع الثورة الى اعتقالهم ولكن بعد حدوث التغير فى علاقة الثورة بالاتحاد السوفيتى واتضاح سعى الثورة للاصلاح الاجتماعى أعاد عدد من الشيوعيين واليساريين بحث موقفهم من الثورة وأيدوا التعاون مع عبد الناصر فأفرج عنهم واحتلوا مناصب هامة فى أجهزة الاعلام وعدد من المجلات الدورية مثل الكاتب والطليعة والمصور وروزاليوسف فضلا عن أجهزة الاتحاد الاشتراكى . الا أن بعضهم ظل على ابتعاده مثل أنور عبد الملك الذى ألف كتابا بعنوان « مصر مجتمع يبنيه

العسكريون » وحصل على الدكتوراه من جامعة السوربون في باريس عام ١٩٦٩ فى رسالته بعنوان «نهضة مصر» الذى ترجم لأول مرة بالعربية ونشر فى القاهرة عام ١٩٨٣ ويعد من أحسن الدراسات الخاصة بمصر ويعادل كتاب صبحي وحيده « فى أصول المسألة المصرية » وكتاب جمال حمدان « شخصية مصر دراسة فى عبقرية المكان » وكتاب لويس عوض « تطور الفكر المصرى المعاصر » والكتاب يبحث عن عملية اعادة بناء مصر على مرحلتين الأولى فى عهد محمد على والثانية فى عهد عبد الناصر ويرى ان ثورة يوليو وثبة جبارة شامخة فى انجازاتها رغم تناقضاتها ، وهذا التناقض بين القوى السياسية اتخذ شكل حرب فى الظلام بين الاسلام السياسى والضباط الأحرار ثم بين اليسار والدولة ٠

وقد تعرض الاتجاه اليسارى للنقد بعد حرب ١٩٦٧ حيث كان كثير ممن نظر اليهم باعتبارهم أركان النظام الناصرى محسوبين على اليسار ٠

والواقع أنهم كانوا أداة بيد مفكرى اليسار ومن أنصار التعاون مع الاتحاد السوفيتي أكثر من كونهم

مؤمنين بحقيقة تطور مصر وفقا لمنهج اليسار أو مؤمنين بالشيوعية أو الماركسية ٠

وزاد قمع الاتجاه اليسارى فى عهد السادات بعد صراع مع من أسماهم مراكز القوى عام ١٩٧٢ واستبعاد كثيرين منهم من مراكز التأثير الثقافى والسياسى فى المجتمع ولا يتعارض ذلك مع القول بأن الاتجاه اليسارى سمح له بالتعبير عن نفسه صراحة فى ظل حكم السادات عندما اتبع نظام تعدد الأحزاب والصحيح انه أصبح موضع رقابة الدولة ونظر له الاعلام الرسمى كما لو كان منبوذا بعكس الأمر فى ظل حكم عبد الناصر عندما كان اليسار يحتل مواقع الاعلام والصحافة والسلطة ٠

وفى نفس الوقت يسعى أنصار اليسار لاتباع أكثر من تكتيك :

الأول : محاولة اليسار الماركسى تبنى بعض جوانب الفكر الاسلامى والربط بينه وبين دعوات اليسار فى الاصلاح الاجتماعى على نحو ما أشرنا فى كتابات عبد الرحمن الشرقاوى ومحمد عمارة وغيرهما كما هو واضح من مقالات واتجاهات حزب التجمع القومى الوحدوى وجريدته « الأهالى » ٠

الثاني : رفض الفكر الاسلامي كتعبير شامل عن حضارة متكاملة ففي مقال للدكتور يحيى الرخاوى أثار قضية ما يسمى بافلاس الغرب حضاريا واحتمال أن يرث الشرق الاسلامى هذه الحضارة وكيف أن المفكرين المسلمين ينخدعون بذلك، لأن الواقع الاسلامى فى غاية السوء واسلام شخصية ماركسية مثل روجيه جارودى المفكر الفرنسي وانتصار الخومينى على شاه ايران بنظامه الامبراطورى المتعفن ، لا يجب أن يخدعنا لأن البديل الحضارى السليم يجب أن يحدد موقفه من الوجود فى الحياة وان يكون سلوكه اليومى متميزا فلا يمكن أن يكون الشرق الاسلامى بديلا حضاريا للغرب وفى نفس الوقت نجد سلوكه اليومي مثلهم ويضرب مثلا بان الكليات المدنية فى جامعة الأزهر هى تكرار للكليات الأخرى ولا تترك للعلوم الدينية الا هامشا بسيطا والبنوك الاسلامية تتبع نفس أسلوب البنوك الغربية مع تغيير شكلى فى تسمية الفائدة عوائد وجوائز ويتساءل متشككا فى قدرة الاسلام على طرح نفسه كبديل حضارى محدد المعالم (٢٠) .

---

(٢٠) د. يحيى الرخاوى « حضارة بديلة .. كيف » الأهرام — ١٩٨٤/١/١٦ .

الثالث : اتجاه اليسار الاصلاحي في صورة من الفابية المعدلة للعودة للنشاط كما في حزب العمل بقيادة ابراهيم شكرى وحلمي مراد وغيرهما ويتجلى ذلك في جريدة الحزب المسماه « الشعب » ·

ويتضح من العرض السابق ان الاتجاه اليسارى وبالأخص الشيوعى يعبر عن قطاع محدود فى المجتمع المصرى اما الشعب فى مجموعة فانه يرفض الشيوعية لاعتبارات دينيــة واجتماعيــة عميقة الجذور فى تراثه ترجع الى الحضــارة الفرعونية ، فضلا عن آثر العقيدة الاسلامية التى ترفض الصراع الطبقى وتمجد الوئام والوفاق وقد قمع عبــد الناصر الاتجاه الشيوعى حتى الستينات وعندما أفرج عنه كان نزولا من الشــيوعيين على شروط عبد الناصر وللانخراط فى تنظيمه لتغييره من الداخل، واقترح عليه انشاء تنظيم مواز سمى «بالجهاز السرى » داخل الاتحاد الاشتراكى ذاته وهذا دليــل على خشية أنصاره من العمل علانية وسط الجماهير حتى مع رعاية الدولة لهم رسميا · أضف الى ذلك أن هذا الاتجاه قمع فى عهدالسادات بل انه عندما أعطى قدرا من الحرية الاعلامية والتعدد الحزبى ، كان جزب الوفد الذى حل منذ بداية الثورة هو الذى استقطب الجماهير وتأكد

ذلك بصورة واضحة عندما عاد الحزب لممارسة نشاطه عام ١٩٨٤ بعد قرار من المحكمة فى ظل حكم الرئيس مبـارك ، فالكتـاب المصريون على اختلاف اتجـاهاتهم يعلقون بأن التحدى الحقيقى للحزب الحاكم هو من قبل الوفد وليس من أى حزب آخر ، وبالأحرى ليس من قبل أى حزب يسارى ناهيك عن آن يكون شيوعيا بل ان اليسار يحرص على نفى صفة الشيوعية عن نفسه ليكون مقبولا لدى الشعب ويحيط نفسه بواجهة دينية(*) •

(*) وتظهر انتخابات مجلس الشعب فى أبريل ١٩٨٧ مغازلة التيار اليسارى المعتدل للاتجاهات الاسلامية واثر ذلك على نتيجة الانتخابات بالنسبة له وبالنسبة لحزب الوفد •

القضايا السياسية والفكرية

مما يميز الحيـاة الفـكرية والسياسـية فى مصر اليوم سيطرة حالة من القلق ولا أقول الضياع الفكرى يعيشها المجتمع حيث تزلزلت الثقة فى كثير من الأمور التى كانت ثابتة ومسـتقرة • ومن أهم مظاهر حالة القلق انتشار الصراع الفكرى ازاء قضـايا وظـواهر عديدة كان من المفروض انها استقرت وحسمت المواقف بشأنها ومن هذه الظواهر والقضايا •

قضية الزعامة

فمن المعروف أن مصر المعاصرة عرفت شخصيتين تمثلت فى كل منهما سمات الزعامة بأوسع معانيها : جمال عبد الناصر وأنور السـادات وأتيح لكل منهما ان يترك بصماته على التطور السياسى فى مصر والعالم

العربى وعلى علاقات المنطقة بالقوتين الأعظم وبقدر ما شمخت قامة كل منها بقدر ما وجه لكل منهما النقد المرير ٠

١ ـ الصراع الفكرى حول زعامة عبد الناصر ونضاله
هل كان زعيما حقا أم انه أكذوبة كبرى فى التاريخ العربى ٠ المؤيدون لزعامته يرددون أفكاره عن النضال والعروبة والقومية ومناهضة الاستعمار والتنديد باسرائيل ودوره فى بلورة حركة عدم الانحياز والتصنيع فى مصر وما الى ذلك ٠ (٢١) المعارضون يرددون أن عبد الناصر لو ترك التطور الاقتصادى الطبيعى لتحققت ثورة صناعية فى مصر احسن مما تحقق وإن هذه الثورة بدأت مع رجال بنك مصر والصناعات التى أنشأها ، وعبود وشركاته وغيره من كبار الرأسماليين، وأن التدهور فى صناعة المنسوجات فى مصر والأزمات المتكررة فى الصناعات العديدة كانت نتيجة قمع وانهاء المبادرات الفردية وسيطرة الدولة وجهازها

(٢١) حول مؤيدى عبد الناصر انظر :
ـ محمد حسنين هيكل فى مؤلفاته ومقالاته العديدة عن مصر وعبد الناصر ـ
ـ جمال حماد « من سيناء الى الجولان : قصة حرب أكتوبر ١٩٧٣ ٠ وهى دراسة عسكرية سياسية ـ مجلة أكتوبر عن عامى ٨٣ ـ ١٩٨٤ وان أخذ جمال حماد موقفا مختلفا فى كتابه « الحكومة الخفية » ٠

البيروقراطي على الصناعة • ويضيف هؤلاء قائلين ان معارضة عبد الناصر لاسرائيل لم تقم على دعائم قوية فبناء الجيش اعتمد على مجموعة من صـغار الضباط كانوا فى بداية حياتهم عند قيام الثورة ، تولوا المناصب العليـا بلا خبرة واغتروا بآرائهم والهزيمة العسكرية عام ١٩٥٦ التى آمكن تحويلها الى نصر سـياسى لاعتبـارات متعددة تكررت عام ١٩٦٧ • والدعوة الى القومية العربيـة لم تعتمد على الأسلوب السليم والقطيعة العربية لمصر فى فترات متعددة فى ظل حكم عبد الناصر كانت قائمة وان لم تصل فى شمولها لما حدث بعد صلح السادات مع اسرائيل • يكفى آنه قبـل حرب ١٩٦٧ كانت العلاقات مع الأردن والسعودية فى آدنى مراحلها وكذلك مع العراق وغيرها • وان سوريا لم تكن على وفاق مع مصر الا فى الشهور القليلة التى سبقت الحرب ولم يحدث تنسيق عسـكرى وآن العاطفيـة والعشوائية كانت سمة تاريخ علاقات العرب فيما بينهم • ولم يتعرض كثير من الناقدين لعبدالناصر لحـركة عدم الانحيـاز وإنما لعلاقاته الوثيقة مع السـوفيت التى قضت على حقيقة سياسـة عـدم الانحياز •

٢ ـ الصراع حول حقيقة زعامة السادات فيذهب البعض الى أنه زعيم واقعي تميز ببعد نظر استراتيجي وكان اهتمامه منصبا على مصر أولا وأنه تولى السلطة في ظروف سياسية واقتصادية وعسكرية صعبة ، ثم عمل على اصلاحها وحقق نصرا عسكريا عام ١٩٧٣ وأعاد سيناء لمصر (٢٢) ٠ في حين يذهب نقاده الى أنه كان خائنا لمصر والعرب وأنه باع القضية لحساب اسرائيل وأمريكا وقدم تنازلات ما كان ينبغي أن يقدمها وان ما وصل اليه من تحرير سيناء كان يمكن أن يحققه عبدالناصر دون مثل هذه التنازلات لو أراد ذلك ٠ وانه أدى لقطيعة عربية لمصر لم تحدث في تاريخها الحديث بهذا الشمول وأنه قبل الانضواء تحت المظلة الأمريكية قضى على سياسة عدم الانحياز وأحدث تخريبا داخليا بسياسة الانفتاح الاقتصادى فدمر الصناعة الوطنية وروج للسلع الاستهلاكية وباع القطاع العام للقطاع الخاص وأعاد مصر للوراء سنوات عديدة ٠ حاول أن يتلاعب

---

(٢٢) انظر في هذا الشأن الدراسة التى قام بها الدكتور عبد العظيم رمضان بعنوان « تحطيم الآلهة » قصة حرب يونية ١٩٦٧ » ٠ ونشرت في مجلة أكتوبر خلال أعوام ٨٢ ـ ١٩٨٤ ٠

بالديمقراطيــة دون ايمان حقيقى بهــا فانقلبت اللعبة ضده وفقد حياته ثمنا للعبث بها • أحيط بعصابة من اللصوص والمرتشين والمختلســين وان نصر أكتوبر كان محصلة الاعــداد الذى تحقق فى ظل عبد الناصر وان السادات قضى على حقيقة هذا النصر بقبوله سياسة كيسنجر •

قضية الحكم الاسلامى :

الصراع حول هذه القضية أعمق من الأول اذ أن الخلاف حول الزعامة السياسية حديث وتغذيه مصالح خاصة ارتبطت بهذا الزعيم أو ذاك كما تغذيه ضخامة أخطاء وأعمال كل منهما ، ولا شك أن نتائج ذلك غير واضــحة بالكامــل فى الوقت الراهن للقرب الزمنى للأحداث ولأن كثيرا من الوثائق غير معروفــة أو غير متاحة • ولكن الصراع حول الحضــارة الاســلامية هو صراع أعمق وأقدم ، والجديد انه ما يزال قائمــا لأنه يرتبط بأســس المجتمع المصرى والعربى باعتبار ان الاسلام تحول ليصبح ليس فقط عقيدة وانما حضــارة ونظام حياة يومى •

سبق أن عرضنا للتيارات السياسية المرتبطة بالاسلام ولكن فى هذا المبحث نتناول الاتجاهات الفكرية غير المرتبطة مباشرة بالسياسة ومن أبرز المفكرين فى هذا المجال :

١ ـ الدكتور حامد ربيع وهو أستاذ للنظرية السياسية فى جامعة القاهرة ولعل أهم كتبه فى المجال الذى نحن بصدده تحقيقه وتقديمه لكتاب قديم بعنوان « سلوك المالك فى تدبير الممالك » لشهاب الدين أحمد بن محمد بن ابى الربيع ألفه للخليفة المعتصم بالله العباسى فى القرن السادس الهجرى أى التاسع الميلادى • والمقدمة • التى كتبها الدكتور ربيع وكذلك تعليقاته على حاشية الكتاب المذكور لا تقل أهمية وخطورة ان لم تفق عن الكتاب ذاته • ويمكن تلخيص وجهة نظره فى الآتى(٢٣):

(أ) ان نظام الخلفاء الراشدين هو نموذج مثالى للحكم الاسلامى الا أنه لا يمكن القول بأنه النموذج الوحيد •

---

(٢٣) الكتاب يقع فى ثلاثة أجزاء ، نشر الجزء الأول منه عام ١٩٨٠ والثانى عام ١٩٨٣ بواسطة دار الشعب ـ القاهرة • ومازال الجزء الثالث قيد الطبع •

(ب) أن النمــوذج الاســلامى العربى خرج عن قواعده نسبيا مع خــلافة عثمان ولم يستطع على بن أبى طالب أن يعيده الى وضعه وقد انتهت جميع قواعده فى ظل حكم معاوية ٠

(جـ) أن النصوص القرآنية لم تضع وتحدد خصــائص النظام السياسىالاسلامى وتركت ذلك لاجتهادالفرد وقدرات العقل البشرى ومسئولية الجماعة ٠

(د) أن العقيدة الاسلامية تقوم على مبدأ التطور مع اعتبار المجتمع الاســلامى هو خاتمــة التطورات السابقة ٠

(هـ) أن الحضارة الاسلامية مهدت لبروز مفاهيم عديدة فى الفكر السياسى الغربى الا ان هذا الأخير بعد استيعابه له تجاهل الاشــارة اليــه نتيجة التعصب والاستعلاء الغربى ومن آبرز تلك المبادىء «مبدأ العقد فى تحليل العلاقة بين الحاكم والمحكوم وان البيعة أول صورة لذلك ـ ومنــاهج الاســتقراء والمشاهدة كأساس للبحث السياسى ومفهوم التفاعل بين عناصر الظاهرة السياســية ومبــدآ الصراع الذى عبر عنــه ابن خلدون ، ومفهوم الشرعية الدينية أساس لمفهوم دســتورية القوانين وفكرة التعدد النظامى فى الحضارة الاسلامية قادت لمفهوم

الأقليات التى تعبر عن مبدأ التسامح الذى هـو جوهر الحضارة الاسلامية ـ والوظيفة الاتصالية للدولة الحديثة عرفت أساسا فى الاسلام ، وفكرة الدعوة وفكرة النمـوذج فى التحليل الاجتمـاعى فالقصص فى القرآن ليست الا نماذج تاريخيـة للتطور البشرى ٠

كما عرض الدكتور ربيع لاجتهادات العديد من المفكرين المسلمين المعاصرين وفى مقدمتهم ابو الأعلى المودودى فى كتابيه « نظرية الاسـلام السياسية » عام ١٩٧٦ و « الخلافة والملك » عام ١٩٧٨ ومحمـد اقبال « تجـديد الفـكر الدينى فى الاسـلام » ويقـدر اجتهاداتهما الا انها من وجهة نظره تمثل بداية ولاتقدم تفسيرا كاملا أو احياء للاسلام ٠ ولا يدعى الدكتـور ربيع أن لديه نظرية متكاملة لتفسير الحضارة والتراث الاسـلامى ٠ وان كان ينظر له باعجاب عميق ويتطلع لبروز ونجاح النموذج الاسلامى ٠ ولـكن التساؤل أى نموذج وعلى آية أسس ؟ هنا لا نجد جوابا كاملا ٠

٢ ـ الدكتور حسين مؤنس وهو أستاذ سـابق بكلية الآداب جامعة القاهرة ورئيس تحرير كتاب الهلال الشـهرى ومن عمالقـة المفـكرين المصريين

المعاصرين . وقد نشر سلسلة مقالات بعنوان « تاريخ موجز للفكر العربي » (٢٤) أهم ما عبر عنه :

(أ) أن محاولة اعادة النظر في التراث الفكري العربي كله توضح أن ما بقي لنا من التراث قليل لأن هذا التراث قضى على التفكير واضطهد المفكرين منذ ولاية معاوية والابتعاد عن منهج الاسلام ومن ثم وقع التدهور والانحطاط . وأن المنهج الاسلامي القائم على الوصول لليقين عن طريق الشك موجود في القرآن ولكن المسلمين لم يطيقوا الصبر عليه ولم يحسنوا تطبيقه وأدى ذلك للركود .

(ب) أن الاسلام دين وأمة وليس دين ودولة؛ وأن فكرة الدولة بمعنى الجهاز الحاكم الذي يملك كل السلطات فكرة غيراسلامية وان الرسول أطلق على من آمن به ودخل الاسلام اسم الأصحاب وليس الاتباع وعندما تحول الاسلام الى دولة بمعنى حاكم ورعية وقع التدهور وتحول العلماء الى

---

(٢٤) بدأ الدكتور حسين مؤنس نشر هذه المقالات في ديسمبر ١٩٨٣ وخلال ١٩٨٤ انظر بوجه خاص المقالات أرقام ١ ، ٦ ، ٩ .

موظفين بدلا من ان يكونوا مصدر هداية وفكر ٠

(جـ) ان كثيرا من المدارس الفكرية في الاسلام وخاصة المعتزلة كان فكرهم خياليا افتراضيا لا ينفع الناس في شيء كما اتسم كثير من المفكرين بالتعالى والغرور حتى انالشيخ محمد عبده وصف الزعيم أحمد عرابى بانه جاهل تطلع للحكم وليس له بأهل ٠

(د) ان ضعف البناء السياسى لدولة الاسلام وهشاشة تكوينه نتيجة لقيامه على غير قواعد الاسلام وخروجها على منهجه من الناحية السياسية جعلها تدخل فى مرحلة الشيخوخة فى النصف الثانى من القرن الثالث الهجرى ٠

وهذا عكس كل منطق ، فعلى سبيل المثال استمرت الدولة الرومانية خمسة قرون (من القرن الثانى قبل الميلادى الى أول القرن الرابع الميلادى) ويرى الدكتور مؤنس أنالبناء السياسى الفاسد القائم على الاستبداد والظلم والعدوان على كرامة الانسان ومحاربة الفكر الحر ، هو عكس ما ينبغى أن يكون آساس حضارة الاسلام ولبابه وطابعه المميز بين حضارات الأمم ٠

(هـ) أن ميادين الفكر الاسلامى التى سلمت من شرور السياسة ظلت متدفقة مثل التاريخ والجغرافيا والطب والصيدلة والى حد ما الفقه •

ومن الملاحظ على دراسة الدكتور مؤنس ما يلى :

أولا : أنه سماها « تاريخ موجز للفكر العربى » وكأنه لا يعترف بالتراث الاسلامى فى حين أنه يعرض للحضارة والفكر الاسلامى خاصة وأن مفهوم العروبة لم يكن واضحا فى الفترة التى يعرض لها •

ثانيا : انه ينتقد جميع الحكام بما فى ذلك أبو بكر وعمر ويذكر أن « أبا بكر » حرق رجلا بالنار وهذا لم يفعله الرسول ، وعمر قصر الشورى على نفر صغير من قريش وهذا عكس مسلك الرسول ، وضد المنهج الاسلامى الأصيل الذى يسوى بين الناس • وبعد ذلك بدأ الابتعاد عن روح الاسلام وخاصة منذ معاوية حيث تحول الحكام الى طغاة مستبدين لا يمتون لروح الاسلام بصلة فمعاوية أمر بلعن « على » على منابر المساجد وحول الخلافة لملك عضوض •

ثالثا : التشكيك فى دور العلماء ووصفهم بالتعالى والغرور وبان مفكرى الاسلام لم يعالجوا حق

العــلاج المســائل التى تهم النـــاس وصرفوا جهودهم لقضايا نظرية مثل قضية كلام الله وخلق القرآن فى حين كان أجدر بهؤلاء المفكرين أن يعرضوا للقضايا التى تهم الانسان ، فلم يثر أحد منهم موضوع حقـــوق الانسان أو قيمة الانسان أو كرامة الانسان فى مواجهة الحكام الطغاة فى حين ان القرآن ذاته ملىء بذلك ٠

٣ ــ حسين أحمد أمين وهو دبلوماسى مصرى ذو ثقافة عريضة ووريث المفكر الاسلامى الكبير احمد أمين صاحب الدراسات العديدة ومنها فجر الاســلام ، وضحى الاسلام ، وقد بدأ حسين أمين فى نشر فكره باصدار كتابه٠« دليل المسلم الحزين » فى منتصف عام ١٩٨٣ ثم تابع نشر عدة دراسات منها دراسته فى حلقات فى مجلة المصور الأسبوعية منذ أكتوبر ١٩٨٣ بعنوان « حاضر الأمة الاسلامية : المشكلة والحــل » و « تأملات فى حقيقة أمــر الســـــلف الصالح » ٠ وأبرز ما عرض له :

(أ) أن المهانة التى تعرضت لها البلاد الاسلامية خلال القـــرنين الماضيين ســياسيا واقتصاديا وعقائديا أدت لبروز التشكيك فى الاسلام وقيمه ٠

(ب) أن تبنى النظم السياسية الغربيـــة لم تســفر عن

فائــدة حقيقية وأدت لقيــام نظم قمع عســـكرية أو شبه عســكرية فى مظم الاقطار الاســلامية لا تخدم سوى مصــالح الفئات الحاكمة وتعانى معظم الشعوب الاسلامية الفقر والجهل والمرض ٠

(جـ) تزايد اتجــاه الشــباب للدين بحثــا عن الحلــول للمشــاكل السياســية للمجتمع وكذلك الحــالة النفسية التى يعانون منها من جراء التناقض بين المثالية الدينية والواقع القائم ٠

(د) انشغال الفقهاء والمفكرين الاســلاميين بالمناصب وتركيز المتصوفين على الطقوس غير الاســلامية وفصــل التعليم الدينى عن التعــليم المدنى أدى لاهمال الدين ، وقفل باب الاجتهاد آدى للجمود والتخلف فانقطعت الصلة بين الفــكر الاســلامى والحياة الفعلية ٠

(هـ) ان نظــرية الســلف الصــالح ابتدعهــا المؤرخون والفقهاء لرسم صورة رومانسية للعصر الاسلامى الأول والمقــارنة بينــه وبين الفســاد الذى حدث وتبرير حتمية ذلك ، ســاعدت بدورها فى عملية التدهور هذه ٠

ومن الواضح آن حسين آمين يسعى لهز الثقة فى

المفاهيم السائدة عن التاريخ الاسلامى وضرورة اعادة النظر فيه بمنطق صارم فى البحث العلمى لا تؤثر فيه المشاعر ولا الآراء السياسية والكف عن الحنين للماضى والتحسر عليه وضرورة التطلع للمستقبل بالجهد والانتاج والتخلى عن الأساطير .

والواقع أن النماذج الثلاثة التى عرضنا لها لمفكرين ذوى اتجاهات ثقافية اسلامية لاتحظى بالقبول من الفكر الاسلامى التقليدى فالمحاولتان اللتان يقوم بهما الدكتور حسين مؤنس والسيد حسين أمين أصبحتا موضع هجوم من بعض رجال الأزهر وشباب الجماعات الاسلامية نظرا لخطورة القضايا التى يطالبان باعادة النظر فيها ، فمثلا يثير حسين أمين قضايا المرأة والسفور وقضايا القصاص فى الاسلام ويشترك الاثنان فى اثارة مسألة دور الفقهاء والمفكرين ، ونظرا لأن هاتين المحاولتين حديثتان فلا يمكن تقييم أبعادهما وصداهما . أما محاولة الدكتور حامد ربيع فهى نظرية أكاديمية صداها محدود فى أوساط الشعب نظرا لاطارها الأكاديمى من ناحية ومن ناحية أخرى لصعوبة أسلوب الدكتور ربيع ذاته وتداخل الموضوعات التى يطرحها ومن ثم فلا يستوعبها الا قلة من المتخصصين .

قضية الشخصية المصرية :

سبق أن تعرضنا للاتجاهات الفكرية الأربعة التى تسود فى المجتمع منذ أواخر الحرب العالمية الثانية والواقع أن هذه الاتجاهات تعكس نفسها فى ظاهرة واحدة تدور حولها وهى تحديد هوية مصر وطبيعة بنيانها السياسى ووجهات نظر تلك الاتجاهات تتداخل وتتشابك معا فى بعض الأحيان وتتعارض فى أحيان أخرى • ويهمنا ان نشير الى بعض الاتجاهات العامة المتعلقة بهوية مصر ، ففى حين يهاجم الدكتور لويس عوض فكرة القومية العربية وايضا الصحفى محمد جلال كشك ومحمود عبد المنعم مراد وغيرهم يدافع عنها الدكتور جمال حمدان وان كان يرى تميز مصر فى اطار تلك القومية ويسير فى نفس الاتجاه الدكتور حامد ربيع فى دراساته عن العالم العربى والتى يهاجم فيها وقوع مصر فريسة لاستراتيجية كيسنجر التى أدت للقطيعة بينها وبين العرب •

والهجوم على الاتجاه العربى لمصر يرتبط أيضا بالهجوم على سياسة الثورة فى فترة عبد الناصر ويذهب كاتب مثل جلال كشك فى مقال له بانه ليس بعد الوفد

محظور (٢٥) الا أن السماح بعودة الوفد وما يحظى به من شعبية بمثـابة رفض شعبى واضح لمسيرة الثـورة ويؤكد على أهمية الحوار الديمقراطى لقيام نظام سياسى سليم فى مصر • ويأخذ نفس الخط أيضا صلاح منتصر فى مقالاته عن ثورة ١٩٥٢ بجريدة الاهـرام خـلال عامى ٨٢ ـ ٨٣ • لأن الاتجاه القومى الضيق غير مقبول من عامة المثقفين المصريين فانه يمكن القول بأن الاتجاه الغالب فى الفكر والسلوك السياسى المصرى هو الانتماء القومى للعروبة مع تميز مصر سياسة ودورا فى هـذا الاطار • وهذا يتمشى مع واقع الأمة العربية المعاصرة حيث لكل دولة منها سياستها ومصالحها التى تتضـارب أحيانا مع سياسات ومصالح الدول الأخرى رغم الانتماء العربى الذى يربط الجميع •

ومن ثم فسوف نركز فى تحليلنا لهذه الظاهرة على ما يتعلق بالبنيان السياسى وطبيعة الشخصية المصرية التى يرى كثير من المفكرين أنها تعانى من أزمة سلوكية خطيرة •

---

(٢٥) محمد جلال كشك « ليس بعد الوفد محظور » مجلة أكتوبر ١٩٨٤/٢/٥ عد ص ١٤ ـ ١٥ •

١ ـ الأزمة السلوكية فى المجتمع المصرى :

يطرح الدكتور زكى نجيب محمود فى مقال بعنوان «أعجاز نخل خاوية» (٢٦) الأزمة السلوكية والفكرية التى يعيشـها المجتمع المصرى فيذكر أن مصر واجهت حضارات عديدة مثل اليونانية والرومانية والمسيحية والاسلامية واستوعبتها جميعا ولكن بعد نكسة ١٩٦٧ حدثت هـزة فى الشخصية المصرية فاتجه المـرء ينظر للوراء ومن هنا ظهرت مشكلة كيفية اعادة بناء الانسان المصرى وهذا يعنى أن خللا ما أصاب الشخصية ومرجع ذلك أمرين :

أولهما عام اذ أن العالم يمر الآن بمرحلة انتقال حضارى من سيادة الرجل الأبيض الى عالم جديد تتحقق فيه الحرية للشعوب الملونة وغير الملونة ويستخدم فيـه الانسان الثورة التكنولوجية على نطاق واسع ولم تتحد بعد سمات العالم أو العصر الجديد وهذا فى ذاته يؤثر على مصر ٠

ثانيهما : أثر النكسة فى ايجاد ردة حضارية حيث اتجه الفرد للنظر لمولد التاريخ لاستلهام الحضارة منـه

---

(٢٦) زكى نجيب محمود « أعجاز نخل خاوية » الأهرام ١٩٨٤/١/٢٦ ٠

وأثر ذلك على القيم السـائدة التى اهتزت ولم تتبلور قيم أصيلة فى المجتمع وظهـرت قيم طفيلية ، والنجاح أصبح يعنى المنصب الكبير والمال الكثير والشعار أصبح أكبر ناتج بأقل مجهود وادى ذلك لاختلال العدالة فمن لايستحق أصبحت له السيادة على من يستحق ، وانخفض معدل الانتاج لأن غير القـادر وغير الكفء أصبح يمسك بزمام الأمور وأصاب المصرى انفصام فى الشخصية فهو كفرد يتميز بجمع الحسنات اذ يتصف بالوفاء والصدق والمودة وكمواطن أصاب شخصيته الخلل اذ أصبح يريد الأجر دون عمل وفى العمـل يسعى للخـداع والكذب والنفاق ٠

ويرى زكى نجيب محمود ضرورة المشـاركة لحل مشكلة الانفصام هذه لأنه بالمشاركة بين الافراد تتوثق الروابط وتصير الأمة على قلب رجل واحد ٠

٢ ـ محاولات تحطيم شخصية الشعب:

يذهب الصحفى فاروق جويدة (٢٧) الى آن انهيار عمارة (وهو ما أصبح ظاهرة متكررة فى مصر حاليـا بسبب عدم الرقابة الدقيقة على عمليات البناء) آو عدم وجود مأوى لشخص ليس مشكلة مستعصية ولكن المشكلة

(٢٧) فاروق جويدة « الانهيار الحقيقى » الأهرام ١٩٨٤/٢/٧ ص ١١ ٠

الحقيقية أن يفقد شعب من الشعوب تماسكه العقلى والوجدانى أو أن تتحلل ضوابط الأشياء فيه أو أن ينفصل عن تاريخه ويفقد ذاكرته وتتهاوى فى داخله كل القيم والتقاليد فيصبح كالشجرة التى تآكلت جذورها وتهدد بقاؤها وان بدت للعيان كما لو كانت واقفة ٠

ويرى أن هذا التآكل بدأت مظاهره فى مصر فى :

(أ) أن مقاييس الفن الحقيقى لم يعد لها وجود وان تاجر الخردة يمكن أن يصبح مطربا بفضل ثورة الكاسيت ويفرض نفسه على الذوق العام وينتج مسلسلات اذاعية وتليفزيونية وأن الفن الهابط يؤدى لتهاوى الفن الجيد على أساس القانون الاقتصادى « العملة الرديئة تطرد العملة الجيدة من التداول » ٠

(ب) امتداد يد العبث للتاريخ المصرى ٠ فالتاريخ يمثل جانبا أساسيا من جوانب تكوين الانسان لأننا لانعيش بالحاضر وحده فالشعوب تستمد تجاربها وقدرتها من الماضى ٠ ومن ثم فقد الانسان الاحساس بقدسية الماضى ولم يعد يجد فيه القدوة وليس معنى ذلك أن يقف الانسان جامدا أمام أحداث التاريخ وانما يجب أن تكون له مجالات

للثقة والصدق والايمان بقيمة الأشياء وقد كثرت كتابة المذكرات الشخصية التى يدعى أصحابها البطولة ولم يكن احد يسمع عنهم من قبل وأدى ذلك لتشويه تاريخ مصر المعاصر •

(جـ) أمتداد العبث للتراث الدينى فاستباح كثيرون لأنفسهم حق الفتوى فى الدين والتحدث عنه فى حين أنهم يجهلون القواعد الصحيحة للغة العربية ولا يعرفون النطق الصحيح لآيات القرآن وليس معنى ذلك أن يكون الدين حكرا على شخص أو فئة وانما لابد لمؤهلات رئيسية لمن يتصدى للحقيقة الدينية كمن يتصدى لممارسة مهنة الطب مثلا •

والواقع أن تحليل الصحفى جويدة يعكس احساسا بالالم للواقع الحاضر وخوفا من ضياع الشخصية المصرية •

قضية الديمقراطية :

وهذه القضية تمثل أكبر معضلة تواجه مصر المعاصرة بل والعالم العربى بأسره • ويؤكد الدكتور « على الدين هلال » (٢٨) على أن الديمقراطية هى احدى

---

(٢٨) د• على الدين هلال « البحث عن الديمقراطية » مجلة روز اليوسف=

هموم العرب الكبرى منذ عبد الرحمن الكواكبى وكتابه « طبائع الاستبداد » . وفى عرضه لندوة سياسية بعنوان « أزمة الديمقراطية فى الوطن العربى » نظمهـا مركز دراسات الوحدة العربية وضمت مفكرين من ١٥ دولة عربية ينتمون لتيارات سياسية مختلفة الا أنهم اتفقوا علـى :

(أ) أن هناك أزمة ديمقراطية في الوطن العربى وأن هذه الأزمة تتمثل فى غياب الحريات السياسـية والشخصية فى كثير من البلاد العربية وفى انتهاك بعض الحكومات لحقوق الانسـان الاسـاسية مثل القبض على مواطن دون توجيه تهمة أو محاكمـة وممارسة التعذيب فى السجون

(ب) أن الأزمة عنصر معوق للتقـدم العـربى فغيـاب الديمقراطية يؤدى لعزوف المواطنين عن المشاركة العامة لمعرفتهم أن هذه المشاركة الشكلية لا تغير مما يريده الحـكام الأمر الذى يؤدى لضياع آراء كان يمكن أن تفيد البلاد وكذلك تهـدد بعـدم الاستقرار السياسى .

عدد ٣٠ يناير ١٩٨٤ ص ٢٤ ـ ٢٥ ومما يذكر أن الدكتور هلال أستاذ جامعى وينتمى لفصائل اليسار المصرى وله عدة دراسات عن النظم السياسية والديمقراطية .

(جـ) أن تقييد الحريات الأساسية للمواطنين بدعوى التغيير الاجتماعي والثورة الاشتراكية والوحدة العربية ونحو ذلك لا ينبغي أن يتكرر مرة ثانية ·

ويتناول مقال آخر للسيد/جمال عبد الجواد الباحث بمركز الدراسات السياسية والاستراتيجية بمؤسسة الأهرام وضع الديمقراطية فيقول ان الديمقراطية مرت بمراحل ثلاث : الأولى في الخمسينات والستينات حيث أنشغل العالم العربي بقضايا الوحدة والصراع الاجتماعي والعدالة الاجتماعية · والثانية منذ هزيمة ١٩٦٧ وحتى نهاية السبعينات وانشغل العرب بالمواجهة العربية الاسرائيلية · والثالثة هي المرحلة الراهنة حيث يعيش العرب في ظل الآمال المحطمة فلا الوحدة تحققت ولا تمتعت الشعوب بثمار العدالة الاجتماعية ودخلت اسرائيل مرحلة جديدة من الاستعمار التوسعي فرضت فيها نفسها على المنطقة كقوة اقليمية كبرى · وانه في هذه المرحلة تفتقت أذهان المثقفين عن الديمقراطية كمفتاح لحل الأزمات المستحكمة التي تواجه الأمة · ويرى الكاتب آن مصر وتونس والمغرب تتجه بخطوات

نحو الديمقراطية وقد يكتب لها آن تقدم للعالم العربى نموذجا للتطور السياسى فى الفترة المقبلة (٢٩) ٠

ورغم هذا المد المواتى للدعوة للديمقراطية القائمة على التعدد فى النماذج التى قدمناها نجد كاتبا آخر مايزال يدعو لديمقراطية من نوع آخر ٠ فيقول سعد التائه فى مقال له عن ثورة يوليو (٣٠) ان ثورة يوليو أرادت أن تحقق مانادى به محمد فريد وتصحح أخطاء ثورة ١٩١٩ وآن تضع العمال والفلاحين فى طليعة قوى الشعب العامل من آجل التحرر ولكن البورجوازية الصغيرة كررت أخطاء ثورة ١٩١٩ وعرقلت التحالف ولعبت الرجعية دورها فى رشوة العمال والمثقفين وساهمت شركات الاستثمار فى خلخلة البناء الاجتماعى والقضاء على تحالف قوى الشعب العامل ٠

وواضح أن المفكر يعبر عن آمرين رئيسيين :

(أ) الفكر اليسارى الذى ساد فى عهد عبد الناصر

---

(٢٩) جمال عبد الجواد « العالم العربى : خطوات نحو الديمقراطية » الأهرام فبراير ١٩٨٤ ٠

(٣٠) سعد التائه « ثورة يوليو بين الحقيقة والوهم : الصراع بين الديمقراطية والديكتاتورية » الأهرام الاقتصادى عدد ١٢ سبتمبر ١٩٨٣ ٠

ومن ثم معارضة سياسات السادات الاقتصـادية والسياسية ٠

(ب) انه لايتمشى مع المد الديمقراطى الذى أصبح يعبر عنه غالبية المثقفين بما فى ذلك اليساريين بل وحتى بعض الشيوعيين المصريين ٠

ويمكن القول بأن الاتجاه السائد حاليا فى أوساط المثقفين والسياسيين المصريين على اختلاف اتجاهاتهم هو الدعوة لمزيد من الديمقراطية بل وانتقاد بعض القيود التنظيمية القائمة مثل اشتراط نسبة ٨٪ من الأصوات الكلية حتى يحصل الحزب على مقاعد فى البرلمان (٣١) وهذا أمر ينبغى اعادة النظر فيه ٠

انعكاس التيارات الفكرية على قضايا مصر المعاصرة :

الواقع أن سؤالين هامين يطرحان ذاتهما فى هذه المرحلة من البحث ٠ أولهما ماهو رد فعل الجماهير تجاه تلك الاتجاهات المختلفة ؟ وثانيهما ما آثر تلك الاتجاهات سلبيا أو ايجابيا على القضايا المعاصرة فى مصر ؟ ومبدئيا وبصفة عامة يمكن القول ان الاتجاهات الفكرية انما

---

(٣١) د٠ أحمد كمال أبو المجد « الأحزاب السياسية والانتخاب بالقائمة » الأهرام بتاريخ ١٤ أكتوبر ١٩٨٣ ص ٣ ٠

ينحصر تأثيرها الرئيسى فى قطاعات المثقفين وسكان المدن ومن ثم فان غالبية سكان مصر بعيدين الى حد ما عن التأثير الفعلى النشط لتلك الاتجاهات • وهذا التحفظ العام ليس قاصرا على مصر وحدها. بل يمتد لكثير من الدول النامية وربما الدول المتقدمة ، أيضا فكم عدد أولئك المهتمين بنشاط وفعالية بالقضايا السياسية والفكرية فى كل دولة • ولكن نضيف بأن التطور السياسى والاجتماعى وان اعتمد على قاعدة عريضة من تحريك الجماهير الا أنه يتم بتأثير وتوجيه من قيادة صغيرة مؤمنة بما تعمل وبعبارة أخرى ان النخبة السياسية هى التى تقود التطور وتوجهه ثم يأتى دور الجماهير لتعزيز هذا الاتجاه أو ذاك •

والمشكلة القائمة فى الوطن العربى عامة ومصر جزء منه أن بعض المثقفين والسياسيين يمثلون كارثة حقيقية ويعيشون فى مأساة من صنع أيديهم • ولتوضيح ذلك نقول : ان بعض المثقفين يتهم بعضهم بعضا بالجهل ويحطون من أقدار بعضهم البعض مثال ذلك عباس محمود العقاد وهو كاتب مشهود له ومثقف موسوعى اتهم الدكتور عبد الرحمن بدوى (أستاذ الفلسفة المعاصرة ومشهود له أيضا) بأنه جاهل ووجه نفس التهمة للويس

عوض وهكذا • وهذه المأساة ليست خاصة بشخص أو مفكر أو جيل وانما متتابعة في الأجيال • فالمتنبى وهو شاعر عربى قدير فى العصر العبـــاسى كان مغـــرورا وسليط اللسان ، وشعر الهجاء من آشهر مجالات الشعر العربى •

أما بعض السياسيين العرب فان مآساتهم آكبر اذ يتهمون بعضهم البعض بالخيانة والعمالة وبعبارة أخرى تجـــريد المعارضين لهم من آعـــز مايملكونه آلا وهـــو وطنيتهم •

التساؤل الذى نطرحه لماذا هذا الموقف من بعض المثقفين والســياسيين والمفـــروض آن يكـــونوا قدوة وقادة ؟ وما نتيجة ذلك ؟ الواقع آن نتيجة ذلك المأساة التى يعيشها العالم العربى اليوم فرغم موارده العديدة والمتنوعة وما لديه من بترول وآمـــوال وســـلاح فانه لم يستطع توحيد جهوده وضم صفوفه ومواجهة خصومه •

أما لماذا حدثت المأساة فان الأسباب متعددة ولعل أحدها سيطرة آحادية التفكير وليس تعدديته Monism not Pluralism وقد يكون الدين هو آحد آسباب النظرة الآحـــادية على أساس أن الايمان بوحدانية الله يرتبط بالايمان بوجود

طريق واحد للحقيقة هو الصحيح وما عداه خطأ وضلال وهذا يختلف عن الفكر القائم على تعدد الآلهة ومن ثم تعدد طرق الوصول للحقيقة وهذا قد يؤدى للديمقراطية • ولكن لايمكن توجيه اللوم للدين كأساس لمأساة العالم العربى لأن الاسلام عندما جاء لشبه الجزيرة العربية على يد محمد «صلى الله عليه وسلم» جعلها وحدة واحدة قوية الأمر الذى تمخض عنه قيام دولة اسلامية قوية وكان العرب المسلمون فى بداية الاسلام يجاهرون صراحة بمعارضة الخليفة الذى يتقبل نقدهم الشديد بصدر رحب والواقعة المشهورة مع عمر بن الخطاب الخليفة الثانى عندما خطب فى الناس قائلا : اذا رأيتم فى اعوجاجا فقومونى اجاب أحد الحاضرين قائلا لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه بسيوفنا • فحمد الخليفة الله على أن جعل فى أمة محمد من يقومه بسيفه • وكذلك واقعة أخرى عندما أفتى فى قضية تتعلق بالمهر وحاول الحد من ذلك فوقفت له سيدة ترد عليه بآية من القرآن تتعارض مع وجهة نظره فحمد الله وقال «أصابت المرأة وأخطأ عمر» ومن ثم يمكن القول بان التفسير الخاطىء للدين من قبل بعض المسلمين هو المسئول عن النظرة الاحادية وضيق الافق وليس الاسلام كعقيدة •

والسؤال هــل يدرك هؤلاء المثقفون والسياسيون عمق المأساة ويرتفعون عنهــا ومن ثم يهيئون الطريق للتطور الديمقراطى وتصحيح الأوضاع أم سنظل نعيش ذلك لفترة أخرى ؟

والواقع أن العالم العربى وفى مقدمته مصر يجب أن يسعى للتخلص من :

(أ) التفكير بعقلية كبــاش الفداء فالتخلف العــربى والاسلامى حقيقة واقعة وأسبابه داخلية ويؤكد القــرآن « ان الله لايغير ما بقــوم حتى يغيروا ما بأنفسهم » والرسول يقول «كما تكونوا يولى عليكم» ومن ثم فان تغير ســلوك الفــرد العربى ضرورة أســاسية لتغيير ســلوك الحكام ولا مبرر لالقاء تبعات التخلف أو التقصير على غيرنا ٠

(ب) ان سـياسة اصــدار القرارات واللجوء للمحافل الدولية لن تجدى كثيرا ولم نتقدم خطوة نحو حل القضية الفلسطينية رغم مئات القرارات من الأمم المتحدة وغيرها من الوكالات الدولية ومن ثم فلابد أن تأخذ الدول العربية والاسلامية زمام الأمور بيدها فى عمل حقيقى وجاد ٠ وهذا لايقلل بحال

من أهمية العمل السياسي في اطار المنظمات الدولية لتعزيز تحركنا الفعلي على ساحات الواقع .

(ج) ضرورة انهاء جهل المسلمين والعرب بتاريخهم وتراثهم الحقيقي فالظواهر السياسية والاجتماعية ترتبط بالفكر في اتجاه متبادل وما حدث من سلبيات في عهدي عبد الناصر والسادات ينبغي التخلص منها كما أنه من الضروري العودة للتوازن الفكري والسياسي والاقتصادي والاجتماعي والنفسي .

وقد نشر الروائي المشهور المعاصر نجيب محفوظ قصة عام ١٩٨٣ بعنوان « أمام العرش » استعرض فيها تاريخ قادة مصر الفراعنة حتى أنور السادات في شكل « محكمة تاريخية » مفترضة تذكر حسنات كل زعيم وسيئاته ثم تحيله الى ديوان الخالدين وبعبارة أخرى ربما قصد الكاتب أن نعمل لوقف موجات النقد المدمر لقادة مصر السابقين باعتبار أنهم مرحلة تاريخية ينبغي أن نأخذ منها العبرة ولكن لايجب أن نعيش في ظل تفسير جامد لمفاهيمها الفكرية والسياسية كما طبقت في واقعها آنذاك .

التيار السلامى فى المجتمع المصرى المعاصر

ان التعرض للحديث عن التيار السلامى فى المجتمع المصرى أمر ذو شجون فمن ناحية نجد آن الدراسات التاريخية تؤكد اصالة النزعة نحو السلم لدى هذا المجتمع ويستدل على ذلك من حقيقتين : آولاهما آن التاريخ المصرى فى مجمله لم يعرف الثورات العنيفة والاضطربات الدموية وأن التيار العام لفكر وممارسة هذا المجتمع ارتبط بالسعى لبناء الحضارة والخضوع للسلطة المنظمة ، ولم تشهد مصر ذات التاريخ المكتوب لأكثر من سبعة آلاف سنة سوى عدد محدود من حالات العنف الداخلى وفى مقدمتها الثورة الدموية بعد الأسرة الخامسة فى الدول القديمة (١) ، والقمع الذى ارتبط

---

(١) حول الدراسات التاريخية لمصر انظر :

ـ د. أحمد فخرى « مصر الفرعونية » ، مكتبة الانجلو المصرية ـ ١٩٦٠ .

ـ سير آلن جاردنر « مصر الفراعنة » ترجمة د. نجيب ميخائيل ابراهيم ـ الهيئة المصرية العامة للكتاب ـ ١٩٧٣ .

بالتحول للمسيحية فى العصر المسـمى بعصر الشـهداء نتيجة العنف الذى مارسه الرومان ضد المصريين ، أما الثورات الأخرى فكانت لا تلجأ للعنف الشديد ولعل فى ثورة ١٩٥٢ وما سادها من اللجوء لأقل درجات العنف ما جعلها تستحق لقب الثورة البيضاء وفى مقـارنتها بغيرها من ثورات المنطقة كمـا حـدث فى ثورة العراق مثلا عام ١٩٥٨ خير ما يوضح ما ذهبنا اليه ٠

أما الحقيقة الثانية فقد ارتبطت بما يمكن أن نسميه بحالة الاكتفاء الذاتى المصرى حيث ساد التاريخ المصرى مايشبه حالة الرضاء والقناعة واعتبار أن مصر هى أم الدنيا ومن ثم لم يسع الحكام المصريون للسيطرة والغزو بوجه عام ٠ وهذا لاينفى وجود حالة توسع فى عصر الرعامسة فى التاريخ القديم وفى عهد محمـد على فى التاريخ الحديث ولكن هذه الظواهر فى مجملها ظواهر عارضة ارتبطت بظروف مؤقتة ومن ثم فهو الاستثناء الذى يؤيد صحة القاعدة ٠

فاذا تركنا هذا البعد التاريخى وركزنا على الفترة المعاصرة منذ انتهاء الحرب العالمية الثانية نجد أن الفكر السياسى المصرى فيما يتعلق بالعالم الخـارجى سـادته ملامح محدودة ولعل أبرزها : السعى لتحقيق الاستقلال

التام ثم طرح مفهوم الحياد الايجابي وعدم الانحياز كوسيلة للبعد عن الاحلاف والتكتلات الدولية وهذه أمور ذات مدلول سلمي وزادت تأكيدا بطرح شعار التعايش السلمي بين شتى الانظمة الاجتماعية والسياسية (٢) • ولكن نشوء دولة اسرائيل على الحدود الشرقية لمصر وما مثلته من عقيدة سياسية مختلفة عن تلك العقيدة السائدة ليس فقط في مصر بل في المنطقة العربية المحيطة بها ، ناهيك عما خلقته من تحد أمام البناء السياسي المصرى وخاصة بعد غاراتها على غزة ورفح واستيلائها على المناطق المنزوعة السلاح على الحدود مثل العويجة ثم اشتراكها في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦ • كل هذه الأمور جعلت من وجود اسرائيل تهديدا للأمن الوطني المصرى وللبناء السياسي والاقتصادى وللآمال القومية المصرية في قيادة الأمة العربية وتحقيق وحدتها على النحو الذى اشرنا اليه في الفصول السابقة • ومن هنا طرحت مصر شعار النضال ضد اسرائيل باعتبارها تمثل ايديولوجية صهيونية ذات

---

(٢) حول أثر العوامل التاريخية والسياسية على بناء الأمة في مصر انظر دراسة للمؤلف بعنوان « مصر ومشكلة بناء الأمة » منشورة في مجلة مشاكل عدم الانحياز ـ العدد الرابع ديسمبر ١٩٨٣ ـ نيودلهي ص ص ٣٣٣ ـ ٣٦١ • وأيضا دراسة بعنوان « مصر وعدم الانحياز » منشورة في مجلة البنجاب للعلوم السياسية ـ عدد يونيه ١٩٨٣ ص ص ١٠٩ ـ ١٢٠ •

نزعة توسعية تعتمد الدين شعارا لمطامعها وباعتبارها مشروعا استعماريا استيطانيا ، ومن هنا رفض الفكر السياسى المصرى التعامل معها ودعا لوضع حد لهذا الفكر المسيطر على تلك الدولة • وفى نفس الوقت ميز الفكر السياسى المصرى بين معارضته لوجود اسرائيل وما تمثله من توسع وتهديد للأمن وبين احترامه لليهود كجماعة ذات عقيدة دينية لهم حق اعتناقها وممارسة شعائرها والعيش فى سلام مع باقى التجمعات فى كل دولة عربية ووسط كل شعب عربى فى المنطقة العربية بأسرها (٣) •

ولقد سعت اسرائيل بممارساتها الفعلية وإلعرب بضجيجهم الاعلامى لوضع العلاقة العربية الاسرائيلية فى حالة تصادم ورفض : تصادم من حيث المواجهة العسكرية والاعلامية سواء بغارات اسرائيل المتوالية ضد مصر والاردن بوجه خاص وفى الاطار الاعلامى

---

(٣) لمزيد من التفاصيل حول الموقف الفكرى المصرى خاصة والفلسطينى من اسرائيل وما تمثله من تهديد للعالم العربى انظر على سبيل المثال المراجع التالية :

ـ د• اسماعيل صبرى عبد الله « فى مواجهة اسرائيل » سلسلة اقرأ ـ دار المعارف بمصر ـ يوليو ١٩٦٩ وخاصة ص ص ١١ ـ ٧٢ •

ـ أحمد بهاء الدين « اسرائيليات وما بعد العدوان » كتاب الهلال ـ نوفمبر ١٩٦٧ •

ـ هيثم الكيلانى « المذهب العسكرى الاسرائيلى » مركز الأبحاث ـ منظمة التحرير الفلسطينية بيروت ـ يوليو ١٩٦٩ •

والسياسى من خلال اجتماعات الأمم المتحدة وغيرها من المحافل الدولية حيث عمد العرب لاستصدار العديد من القرارات التى تدين اسرائيل وتندد بها · أضف لذلك أن طبيعة الفكر السياسى العربى كما عبر عنه كثير من الزعماء السياسيين والذى طغى فيه الاتجـاه لمخاطبـة عواطف الجماهير والهاب حماسهم أكثر من اتجاه مخاطبة عقولهم وتأكيد عقلانيتهم أدى ذلك الى حالة نفسية من الرفض الكامل لاسرائيل تجاه العرب ونجحت الدعـاية الاسرائيلية فى ذلك ايما نجاح (٤) ·

ولكن السؤال الذى نطرحه هـل هذه النزعة التى يمكن أن نصفهـا بالنزعـة النضاليـة ضد اسرائيـل والرافضة للاعتراف بها أو التعايش معها هل هى نزعة حقيقية ؟ بمعنى هل عبرت عن سياسة عربية حقيقية ؟

---

(٤) حول أساليب الدعاية الاسرائيلية وتصوير الشخصية العربية انظر :
- قدرى حفنى : تجسيد الوهم : دراسة سيكلوجية للشخصية الاسرائيلية مركز الدراسات الفلسطينية والصهيونية - مؤسسة الاهرام - ١٩٧١ ·
- رشاد عبد الله الشامى : الشخصية اليهودية والروح العدوانية - عـالم المعرفة - الكويت - ١٩٨٦ ·
وهذان المؤلفان يحللان طبيعة الشخصية اليهودية من وجهة النظر العربية بفكر مرحلة ما قبل المبادرة الساداتية ·
- حامد عبد الله ربيع : فلسفة الدعاية الاسرائيلية - مركز الأبحاث ب منظمة التحرير الفلسطينية - بيروت - يوليو ١٩٧٠ ·

ان القــاء نظرة خاطفة على أبــرز خطب الرئيس الراحل جمال عبد الناصر وتحليل مواقفه الســياسية الفعليــة تؤكــد عكس ذلــك • ونشير الى آن مســعى عبد الناصر فى المقام الأول كان سلميا من حيث الطبيعة، عقلانيا من حيث الممارسة ولعل مما يدل على ذلك (٥) :

١ ــ أن مبادىء الثــورة الستة التى اعلنت لم تتضمن اشارة لاسرائيل •

٢ ــ أن كتاب فلسفة الثورة الذى يعد الاساس الحقيقى لفكر عبد الناصر وتصوراته وطموحاته تحدث عن اسرائيل وعن واقعة حصاره فى الفالوجا ولكن أكد أن أحــلامه فى مصر وأن تطلعاتــه للقضاء عــلى الفساد فيها •

٣ ــ أن عبدالناصر عندما ووجه بالاعتداءات الاسرائيلية على حدود مصر الشرقية وخاصة الغارة الاسرائيلية

---

(٥) انظر محمود رياض

— Mahmoud Riad, The Struggle for Peace in The Middle East,, Quartet Books, London, 1981.

— Mohammed Wahby, Arab Quest for Peace, Orient Longman, New Delhi. 1971.

فضلا عن الوثائق الأصلية المشار اليها فى المتن ــ ومما يجدر ذكره أن كثيرا من المراجع تناولت النقاط التى عرضتها ولكن دون أن تربط بينها على النحو الذى تناولته بها •

في نوفمبر ١٩٥٥ سعى لتسليح مصر وهذا طبيعى للدفاع ضد آى عدوان سواء كان اسرائيليا آم غير ذلك ٠

٤ ـ قبول مصر الاستمرار في اتفاقية الهدنة بين مصر واسرائيل الموقعة عام ١٩٤٩ وكانت اسرائيل هى التى تنتهكها بالاعتداءات المتكررة ٠

٥ ـ وافق عبد الناصر ضمنيا على مرور اسرائيل فى خليج العقبة بعد العدوان الثلاثى فى عام ١٩٥٦ ٠

٦ ـ قبل عبد الناصر قرار مجلس الأمن لتسوية أزمة الشرق الأوسط وهو القرار المشهور برقم ٢٤٢ والصادر فى ٢٢ نوفمبر ١٩٦٧ والذى يتضمن الاعتراف الضمنى باسرائيل ٠

٧ ـ أعلن عبد الناصر قبوله للاعتراف باسرائيل فى خلال الفترة التى نشط فيها جونار يارنج لتطبيق قرار مجلس الأمن ٠ وقد قام يارنج بتوجيه عدة أسئلة لمصر واسرائيل ، وكذلك خلال مباحثات الدول الاربع الكبرى ومباحثات القوتين العظميين حول تسوية النزاع فى الشرق الأوسط في الفترة من ٦٨ ـ ١٩٧٠ ٠

٨ ـ وافق عبد الناصر على مبادرة روجرز فى يوليو ١٩٧٠ وما تضمنته من خطوات للسلام والاعتراف باسرائيل ٠

ولكن الممارسة الواقعية والعقلانية لعبـد الناصر اصطدمت بعقبتين رئيسيتين جعلت من أية نظرة غير متفحصة لسياسته ترى فى هذه السياسة نزعة عدوانية ضد اسرائيل أو رافضة لها :

العقبة الأولى : جاءت من اسرائيل التى دأبت على التـوسع والاعتـداءات ورفضت تطبيق قرارات الأمم المتحدة المتعلقة بحق الفلسطينيين فى العودة ٠

العقبة الثانية : نتجت عن آجهـزة الدعاية التى أحـاطت بعبد الناصر وجعلت منـه بطـلا للقـومية العربية (٦) ، وجعلت من اسرائيل العدو الأول لهـذه القومية وحولت القضية الفلسطينية لتصبح قضيةالعرب الأولى ٠ ومن ثم باعتبار عبد الناصر هو الفتى العربى الأول لم يكن ممكنا له نفسيا ولا سياسيا ولا اعلاميا أن يطرح أى شعار للسلام مع اسرائيل (٧)

---

(٦) Bewan Berindranath, Nasser : The Man and The Miracle; Afro-Asian Publications ; New Delhi; 1966.

(٧)

— Surendra Butani, Hope and Desp air : The United Nations and The Arab- Israeli Conflict, Sopan Publishin,g House, New Delhi, 1980.

أما فى الفترة اللاحقة على حرب ١٩٦٧ فقد زادت العقبات النفسية والسياسية حيث اعتبر طرح السلام قبل انسحاب اسرائيل من الأراضى العربية المحتلة هو استسلام ، أضف لذلك المهانة التى أحست بها القوات المصرية للهزيمة المنكرة التى لحقت بها عام ١٩٦٧ بعد أن عاشت فترة تحت حلم أنهـا أقوى قوة ضـاربة فى الشرق الأوسط ٠

وظلت الدبلوماسية المصرية بعد ١٩٦٧ تعمل فى اطار مبادىء لاءاتالقمة العربية فىالخرطوم «لا صلح»، لا اعتراف ، لا تفاوض» من الناحية النظرية ٠ ولكن من الناحية الفعلية فان العمل السياسى المصرى سـعى للتخلى عن هذه الشعارات لعدم واقعيتها ولعدم جدواها ٠ فعدم الواقعية مرجعها أن العالم فى معظمه وفى مقدمته القـوتين الأعظم معترف باسرائيـل ، وان حقـائق السياسة الدولية جعلت اسرائيل تكسب على السـاحة الدولية فى آسيا وافريقيا وأمريكا اللاتينية فضلا عن معاقلها التقليدية فى اوربا ٠ ومن ناحية الجدوى فان الواقع العربى فى مواجهة المطامع الاسرائيلية أضعف مايكون كرد فعـل ، وان اسرائيل اكتسحت الجيـوش العربية فى عام ١٩٦٧ أضف لذلك أن اسرائيل كانت

تطرح شعار السلام وتعمل من أجل الحرب ٠ ناهيك عن أنه لم يثبت أن دولة احتلت آراضى دولة أخرى وتخلت عنها طواعية دون أية شروط ودون أن تحصل على مقابل ٠ ومن ثم جرى تطويع اللاءات الثلاثة بأن هناك فرق بين الصلح والسلام ، وأن الاعتراف ينصرف للاعتراف القانونى وليس الواقعى وأن التفاوض المباشر مرفوض وأن السعى للتفاوض غير المباشر أو عن قرب ونحو ذلك من التفسيرات والتبريرات واستغلت الدول العظمى ذلك ففرضت نوعا من الوصاية السياسية على المنطقة ولذا جرت مباحثات القوتين العظميين ومباحثات الدول الأربع الكبرى بحثا عن السلام فى الشرق الأوسط وأخذت كل قوة منها تبلغ حلفاءها من دول المنطقة بالطريقة التى تراها ومن ثم تجمد الموقف وجرى تدويل المشكلة ٠

وهنا من الضرورى أن نشير الى تحليل الاستاذ أحمد بهاء الدين لأسباب الفشل العربى فى الدعاية ضد اسرائيل فهو يرجع ذلك لغياب الفكر وغياب العلم ويشير بتفضيل لبعض الشعارات التى طرحت قبل ١٩٦٧ خاصة بتدمير اسرائيل ونحو ذلك ٠ ويشير الكاتب لدعوة أندريه فيليب الزعيم الاشتراكى الفرنسى لتبديد

الخرفات التى سادت وسيطرت على العقلية العربيةوذلك لكى نصل الى حل للنزاع العربى الاسرائيلى وفى مقدمة هذه الخرفات ــ على حد قوله ــ ما يلى :

١ ــ منذ عشرين سنة ، كان أمل العرب تدمير اسرائيل كدولة على أن يحل محلهـا مجتمع مسـلم مسيحى يهودى على الطراز اللبنانى • ولكن تحقيق هـذا الهدف أصبح متأخرا •

٢ ــ يجب أن تحل نهائيا مشكلة اللاجئين التى تعد عارا على الضمير الانسانى والحل هو خلق دولة فلسطينية سواء مستقلة أو مرتبطة بالأردن مع ايجـاد ممر بين الأردن وغزة تتنـازل عنـه اسرائيل طبقـا لمشروعات سنة ١٩٤٨ •

٣ ــ ان قبول العرب لهذا مستحيل ما لم تتخل اسرائيل عن أحلامها الصهيونية وشخصيتها العنصرية •

ويعقب على حديث أندريه فيليب قائلا « ان كلامه قابل للنقاش من ناحيتنا ولكن فيه نقاط التقاء هامة مع الفكر العربى حول هذه القضية » (٨) • ولا شك أن هذا

---

(٨) أحمد بهاء الدين ــ مرجع سـابق ــ ص ص ٣٠٦ ــ ٣٢٦ وبخاصة ص ص ٣٢٢ ــ ٣٢٣ •

الموقف من مفكر بارز مثل أحمد بهاء الدين كان بداية الدعوة لتبديد الأوهام التى عاش فى ظلها الفكر العربى فى مواجهة اسرائيل · وهو الأمر الذى دعا مفكر عربى آخر مثل فؤاد عجمى ليطلق عليه « الورطة العربية : الفكر العربى بعد ١٩٦٧ » أى التناقض بين الشعارات العاطفية والانفعالية وبين حقـائق السياسـة وحقائق الواقع العربى والدولى ومن ثم بدأت النزعة السلامية تظهر على استحياء وان اكتسبت يوما اثر يوم مزيدا من الأرضية لدى المواطن المصرى خاصة والعربى عامة ·

ثم جاءت حرب أكتوبر ١٩٧٣ وما حققته من عودة نوع ما من المصداقية لمقدرة الجيش المصرى بوجه خاص على استيعاب تكنولوجيا العصر وعلى استخدام السلاح المتاح وهزت ثقة الجيش الاسرائيلى وغروره وأدى ذلك لتبلور قـوى جـديدة تدعـو للسـلام · ففى المجـال الدبلوماسى تحركت وزارة الخارجية لتؤكد حرص مصر الجاد على التوصل لتسوية سلمية لمشكلة الشرق الأوسط فى اطار مؤتمر دولى ومن خلال توافق أو موافقة عربية أو على الأقل عدم اعتراض عربى قوى · وتجلى ذلك فى اتفاقيات فض الاشتباك الأول والثانى، كما تجلى بصورة

أكثر وضوحا فى اعداد مصر لمشروع اتفاقية سلام مع اسرائيل (٩) ٠

وبينما تسير المحاولات الدبلوماسية والدولية من أجل السلام خلال عام ١٩٧٧ كما سبق وأشرنا للمشروعين المصرى والاسرائيلى اللذين قدما لوزير الخارجية الأمريكى ، كان هناك مسعى سوفيتى أمريكى تمثل فى اعلان مشترك فى آكتوبر ١٩٧٧ سرعان ماتخلى عنه الأمريكيون تحت ضغط اسرائيل وازاء ذلك كله شعر الرئيس الراحل آنور السادات بضرورة كسر الجمود بأسلوب غير تقليدى فأعلن مبادرته المشهورة بالاستعداد للذهاب للقدس اذا كان ذلك يحقق السلام وجاء رد الفعل الأمريكى فاترا فى البداية واستجابت اسرائيل وزار السادات القدس ومن على منبر الكنيست الاسرائيلى أعلن فى خطابه (١٠) ما يلى : « لقد جئت اليكم اليوم

---

(٩) تم اعداد هذا المشروع فى أغسطس ١٩٧٧ وقدم الى وزير الخارجية الأمريكى سايروس فانس ٠ انظر تفاصيل ذلك فى :

اسماعيل فهمى : التفاوض من أجل السلام فى الشرق الأوسط ـ مكتبة مدبولى القاهرة ١٩٨٥ ص ص ٣٢١ ـ ٣٤٧ ٠

ـ وحول جهود مصر ومحاولاتها انظر للمؤلف دراسة بعنوان « المنهج المصرى للبحث عن السلام فى الشرق الأوسط » ـ مجلة « العلاقات الامريكية ـ الصينية » عدد أغسطس ١٩٨٢ ص ص ١٧ ـ ٢٥ ٠

(١٠) انظر النص الكامل لخطاب السادات أمام الكنيست فى ٢٠ نوفمبر ١٩٧٧ الهيئة المصرية العامة للاستعلامات ـ القاهرة ـ ١٩٧٧ ٠

على قدمين ثابتتين لكى نبنى حيـاة جديدة ، لكى نقيم السلام ، وكلنا على هذه الأرض أرض الله ...الخ »
ويوضح السـادات فى فقرة أخـرى الصـدى الضخم والشكوك التى أحاطت بقراره بقوله «ان البعض صورت له المفاجأة العنيفة أن قرارى ليس أكثر من مناورة كلامية للاستهلاك أمام الرأى العام العالمى أو أنه تكتيك سياسى لكى أخفى به نواياى فى شن حرب جديدة » · ثم يؤكد السادات على ما اسـماه الحقـائق الخمس للموقف وهى باختصار :

١ ــ أنه لاسعادة لأحد على حساب شقاء الآخرين ·

٢ ــ أنه لايتحدث بلغتين أو يتعامل بسياستين ·

٣ ــ أن المواجهة المباشرة هى أقرب الطرق للهدف ·

٤ ــ ان دعوة السلام الدائم العادل المبنى على احترام قرارات الأمم المتحدة أصبحت دعوة العالم كله ·

٥ ــ أن الأمة العربية لاتتحرك فى سعيها من أجل السلام الدائم العادل من موقع ضعف أو اهتزاز بل تملك من مقومات القوة والاسـتقرار ما يجعل كلمتها نابعة من ارادة صادقة نحو السلام ·

ثم يضيف ليؤكد هدفه فى أنه لايرغب فى عقـد

اتفاق منفرد بين مصر واسرائيل لأن السلام لن يتحقق الا بحل المشكلة الفلسطينية . كما أنه لايسعى لسلام جزئى بمعنى انهاء حالة الحرب وانما يهدف لسلام شامل ودائم وعادل ويبرز السادات فى خطابه بأن السلام لايتحقق الا بالابتعاد عن سياسة التوسع على حساب الغير ويؤكد على آن السلام آن تعيش اسرائيل داخل حدودها آمنة فى ظل آية ضمانات يكون للعرب مثلها ويناشد الشعب الاسرائيلى تفهم اصرار شعب فلسطين على اقامة دولته فى وطنه ، واصراره على حق العودة .

وفى نهاية خطابه يشير السادات لعناصر اتفاق السلام الذى يتصوره وهى :

١ ـ انهاء الاحتلال الاسرائيلى للأراضى العربية التى احتلت عام ١٩٦٧ .

٢ ـ تحقيق الحقوق الأساسية للشعب الفلسطينى وحقه فى تقرير مصيره بما فى ذلك حقه فى اقامة دولته .

٣ ـ حق كل دول المنطقة فى العيش فى سلام داخل حدوده الآمنة والمضمونة عن طريق اجراءات يتفق عليها .

٤ ـ تلتزم كل دولة فى المنطقة بادارة العلاقات فيما

بينها طبقا لأهداف ومبادىء ميثــاق الأمم المتحدة وبصفة خاصة عدم الالتجاء الى القوة وحل الخلافات بينها بالوسائل السلمية .

٥ ـ انهاء حالة الحرب القائمة فى المنطقة .

والواقع أن خطاب السادات هذا كان يمثل نهاية لمرحلة وبداية لمرحلة جديدة ويمكن القول أن التيــار السلامى عبر مراحل أربع منذ عام ١٩٤٨ :

الأولى : مرحلة الاهتمام المصرى أولا بعد اخفاق الجيوش العربية فى حرب ١٩٤٨ واستمرت هذه المرحلة حتى عام ١٩٥٦ .

الثانية : مرحلة المد الثــورى للقومية والوحــدة العربية منذ ١٩٥٦ حتى ١٩٦٧ وظهور النزعة النضالية ضد اسرائيل كأحد الشــعارات المطروحة على الســاحة القومية ارتباطا بالنضال ضد الاستعمار والسعى للوحدة العربية حيث كانت اسرائيل تمثل حاجــزا أرضيا بين مشرق العالم ومغربه . وتكون فى هذه المرحلة حاجز نفسى سميك بين العرب والاسرائيليين .

الثالثة : مرحلة الاهتمــام بازالة آثــار العدوان والقبول الواقعى باسرائيل وقد امتــد من قبول قرار

مجلس الأمن فى نوفمبر ١٩٦٧ حتى ١٩٧٧ فى صورة خط صاعد ٠

الرابعة : مرحلة القبول الواقعى والقانونى باسرائيل منذ مبادرة السادات واتفاقيات كامب ديفيد عام ١٩٧٨ ثم معاهدة السلام المصرية الاسرائيلية فى عام ١٩٧٩ ٠

وتظهر دراسة التصريحات والبيانات والخطب التى ادلى بها الرئيس السادات خلال شهر نوفمبر وديسمبر قبل وبعد زيارة القدس العناصر التالية (١١) :

١ ــ أن السادات كان جادا فى سعيه للسلام الشامل الدائم والعادل ٠

١ ــ أن السادات كان مقتنعا بأن الحاجز النفسى هو أكبر عقبة فى طريق السلام بين العرب واسرائيل ٠

٣ ــ أن مصر خاصة والعرب عامة عانوا من آثار الحروب وانه لاسبيل لهزيمة اسرائيل طالما تؤيدها القوى الكبرى وخاصة الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى ٠

٤ ــ أن الشعب الاسرائيلى سيجبر قادته على الاتجاه نحو

---

(١١) خطب وأحاديث الرئيس محمد أنور السادات بمناسبة مبادرة السلام وزيارة القدس ٠ الهيئة العامة للاستعلامات ــ القاهرة ــ ١٩٧٧ ٠

طريق السلام بعد أن يلمس جدية الرغبة المصرية ·

ولكن اذا كان مجلس الشعب ، الممثل للسلطة التشريعية ، قد أيد مبادرة السادات فان الأمر لم يكن سهلا بالنسبة لقطاعات الشعب المختلفة وبخاصة بالنسبة للقوى السياسية العاملة على الساحة المصرية سواء من اليمين أو اليسار ، ولا بالنسبة لقطاعات المثقفين العريضة التي تربت طوال هذه السنين على فكرة العداء العربي الاسرائيلي ، ولا بالنسبة لفريق من المحترفين في العمل الدبلوماسي الذين رأوا في المنهج الساداتي خروجا عن القواعد المتعارف عليه في التفاوض ومن ثم التخلي عن أوراق التفاوض قبل بدء عملية التفاوض ذاتها ، أو الذين رأوا فيه تعارضا مع المفاهيم السائدة على الساحة العربية ويؤدي لعزل مصر عن العرب (١٢) ·

(١٢) مواقف اسماعيل فهمي ومحمد كامل ومحمود رياض تقع كلها في هذا الاطار مع اختلاف في الدرجة والتبريرات حيث يعترض محمود رياض انطلاقا من مفاهيم القومية اذ كان أمين عام جامعة الدول العربية عام ١٩٧٧ في حين أن اعتراض اسماعيل فهمي على أساس تخلي السادات عن أوراق اللعب في التفاوض وعدم فهمه لطبيعة العملية التفاوضية التي كان يسعى اليها خاصة وأنه كان عائدا لتوه من اجتماع لمجلس الجامعة العربية في تونس وطرح مفهوم المؤتمر الدولي · بينما ينطلق محمد كامل في معارضته من استسلام السادات للضغط الاسرائيلي الأمريكي أثناء مفاوضات كامب ديفيد · ولا شك أن تركيزي هذا به قدر من التبسيط لأن الاعتراضات متداخلة ولكني أردت الاشارة لأهم عنصر من عناصر المعارضة من المحترفين في العمل الدبلوماسي · ويمكن الرجوع لمذكرات الوزراء الثلاثة من أجل مزيد من التفاصيل ·

أما بالنسبة للنخب المثقفة فقد اظهرت دراسة تحليلية ميدانية لوضع هذه النخب وما تعبر عنه من أفكار واتجاهات خاصة بالصراع العربى الاسرائيلى وصورة العدو لكل طرف (عرب ـ اسرائيليين) ومدى التغير الذى طرأ على هذه التصورات فى مرحلة ما قبل المبادرة ، أقول اظهرت هذه الدراسة (١٣) وجود اتفاق عام حول قبول قرار ٢٤٢ كأساس للحل • ومن واقع دراسة عينة ظهر أن المثقفين فى مصر والأردن ولبنان من انصار الحل السلمى فى حين أن النخبة التى أجرى لها دراسة فى سوريا انقسمت ما بين الحل السلمى والحل العسكرى بينما النخبة التى تم دراستها من رجال المقاومة الفلسطينية أبدت تفضيلها للحل العسكرى • وبالمثل أبدى المسئولون المصريون والأردنيون واللبنانيون الرغبة فى حفظ الصراع فى أدنى مستوى له على حين ذهب السوريون والفلسطينيون الى الحرص على مستوى عال من حرارة الصراع • وبالنسبة للرغبة فى استعادة الأراضى المفقودة بدأت هذه الرغبة عالية لدى مصر

(١٣) Daniel Heradstyeit, Arab and Israeli Elite Perceptions University Press, Olso, 1974, pp. III-116.

ويحلل نفس المؤلف العناصر النفسية للنزاع العربى الاسرائيلى فى كتابه :
The Arab Israeli Conflict : Psychological Obstacles to Peace, University Press, Oslo, 1979.

والأردن والفلسطينيين فى حين آبدى السوريون اهتماما أقل ولم يبد اللبنانيون ادنى اهتمام .

وتشير نفس الدراسة الى آن حزب جاحال أبدى حرصا على التوسع فى حين آن الحكومة الاسرائيلية (حزب العمل آنذاك) آبدت بعض الاهتمام والمابام اهتماما قليلا بينما لم تستطع غالبية قطاعات الرآى العام اتخاذ موقف محدد .

ويحلل دانيال هيراد ستفت الموقف داخل الصف العربى وداخل الصف الاسرائيلى موضحا المعضلة التى يجد الباحث نفسه آمامها وهى عدم وجود توافق فى الرأى حول طبيعة الحل عن طريق التفاوض فالاسرائيليون يرون عدم جدوى التفاوض مع دعاة الحل السلمى من العرب خشية آن يصل آصحاب الدعوة للعمل العسكرى للقيادة ويصبحون أغلبية . فى حين يرى العرب آن بعضا من آعضاء الحكومة الاسرائيلية لايرغبون فى التخلى عن الأراضى المحتلة ويخلص الباحث الى آنه بالاضافة لعدم تحقيق توافق فى الرآى لدى كل جانب فهناك مشكلة انعدام الثقة (١٤) .

---

(١٤) نفس المرجع السابق ص ص ١٢٤ ـ ١٣٤ .

ولكن الموقف بعد مبادرة السادات اختلف اذ أخذ الصور التالية :

الأولى : رغبة شعبية عارمة فى مصر نحو السلام على أساس أنه سلام شامل وعادل ودائم وان الرفاهية والرخاء سيتحققان اثر ذلك بعد طول معاناة وتفاقم المشاكل الاقتصادية ·

الثانية : قطاعات اعلامية وصحفية حكومية أخذت تروج لمفاهيم السلام هذه ·

الثالثة : انقسام فى الرأى بين صفوف محترفى العمل الدبلوماسى وبخاصة قياداتهم على نحو ما رأينا فى مواقف اسماعيل فهمى ومحمد ابراهيم كامل ومحمد رياض ومحمود رياض ومن بعض القيادات الوسطى فى السلك الدبلوماسى دون ان يكون لموقفهم اثر ملموس بحكم دورهم التنفيذى ·

الرابعة : هجوم ونقد من قبل بعض المثقفين ورجال القوى السياسية المختلفة ·

ويحلل احد الباحثين موقف هذا الفريق الأخير بقوله « ان الصراع العربى الاسرائيلى هو المحور الرئيسى الذى تتحدد على اساس منه كافة القوى السياسية

والاجتماعية والفكرية فى الوطن بل ان الممارسات اليومية لهذه القوى انما هى بنت هذا الصراع . ويضيفون بأن مواقف ثلاثة تتضح لهذه القوى (١٥) .

الأول : محاولة تصوير هذا الصراع من منطلق ايديولوجى ومن ثم النظرة اليه باعتباره تعبيرا عن حركة التحرر العربى فى مواجهة الامبريالية وان اسرائيل ليست الا خادمة لهذه الامبريالية .

الثانى : محاولة تصوير الصراع من منطلق قومى بمضمون تقدمى أو محافظ وان كان المضمون الأول هو الغالب ومن ثم النظرة للصراع على أنه مواجهة بين استعمار استيطانى صهيونى فى مواجهة حركة القومية العربية .

الثالث : محاولة تصوير الصراع من منطلق دينى والنظرة اليه على انه حرب مقدسة بين الاسلام واليهودية . ودعم من هذا التصور الثورة الاسلامية فى ايران ومواقفها المبدئية من القضية الفلسطينية .

والواقع ان الاتجاهات الثلاثة عبرت عن مواقفها

---

(١٥) د. محمد رضا محرم « تحديث العقل السياسى الاسلامى » دار الفكر للدراسات والنشر والتوزيع ـ القاهرة ١٩٨٦ ص ١٦١ ـ ١٦٣ .

المعارضة لاتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام المصرية الاسرائيلية .

فبالنسبة للاتجاه الأول ينبغي أن نبدي الملاحظات التالية : ـ

١ ـ ان الرفض الاساسى ليس نابعا من موقف تجاه اسرائيل كدولة وانما تجاه اسرائيل كسياسة . ولعل في مبادرة الاتحاد السوفيتي بالاعتراف باسرائيل اعترافا قانونيا بعد ثلاثة آيام من اعلان قيامها ما يوضح موقف اليسار العربى والورطة التى وجد نفسه فيها في البداية ثم مع اتضاح موقف الارتباط الاسرائيلى بالقوى الغربية الاستعمارية وقيام ثورة ١٩٥٢ بوجهها التقدمى المناهض للاستعمار مما ادى الى تغير الموقف السوفيتى ومن ثم آثر فى موقف اليسار العربى .

٢ ـ ان عداء اليسار المصرى لانور السادات قديم الجذور منذ كان الأخير آمينا عاما للاتحاد القومى ودخل معه الحزب الشيوعى فى سجال واثر ذلك فى

مواقف كل من الطرفين تجاه الأخير فيما بعد (١٦) ·

٣ ـ أنه لم يعرف من مواقف الشيوعيين المصريين وخلافاتهم مع عبد الناصر حول العديد من القضايا بما فى ذلك القومية العربية والوحدة بين مصر وسوريا ولم يعرف موقف محدد برفض التعايش مع اسرائيل أو حتى مجرد الحديث عنها كما هو واضح فى التحليل الذى قدمه الدكتور رفعت السعيد (١٧) وان وردت اشارة عابرة فى احدى النشرات الشيوعية التى ايدت الوحدة واصفة اياها بأنها تقيم دولة كبرى ضد التوسع الصهيونى ·

وفيما يتعلق بالاتجاه الثانى فلانجد ان الجمهورية العربية المتحدة المكونة من مصر وسوريا من ٥٨ ـ ١٩٦١ قد اتخذت موقفا عمليا تجاه الصراع العربى الاسرائيلى اذا استبعدنا الضجيج الاعلامى · واكثر من ذلك فان مفاوضات الوحدة الثلاثية بين ثلاثة تجمعات تقدمية وقومية فى مصر وسوريا والعراق والتى جرت

---

(١٦) د· رفعت السعيد : تاريخ الحركة الشيوعية المصرية ٥٧ ـ ١٩٦٥ شركة الأمل للطباعة والنشر ـ القاهرة ـ ١٩٨٦ ص ص ١٢٩ ـ ١٣٢ ·

(١٧) نفس المرجع ص ١٣٣ ـ ١٥٠ ·

خلال مارس وابريل ١٩٦٣ لم تتضمن موقفا واضحا من السياسة الخارجية وعلى وجه الخصوص من اسرائيل ويثير هذا الغياب تساؤلا هاما هل هو دليل عدم اهتمام حقيقى من هذه القوى الثورية والتقدمية آنذاك ؟ ام أنه يدل على ان مفهوم الوحدة الفعلى كان مرتبطا بنزعة سلمية فى مواجهة اسرائيل رغم الضجيج الاعلامى فى الخطب المعلنة . ومما يذكر ان محاضر هذه الجلسات تقع فى اكثر من ٦٠٠ صفحة ونشرتها مصر بعد اخفاق هذه المحاولة لكشف دور حزب البعث (١٨) .

وبالنسبة للاتجاه الثالث يشير بعض الباحثين الى انه بسبب الطبيعة الشمولية للنظام المصرى فقد كان لابد ان تأخذ معارضة اتفاقيتى كامب ديفيد شكل الهمس والعمل السرى ولكن « الاخوان المسلمين » عارضوا الاتفاقيتين علنا وذلك عن طريق توزيع شرائط تسجيل (كاسيت) تحوى خطبا وبيانات للشيخ كشك (١٩) . وتنتقد التيارات اليسارية التصوير الدينى للصراع العربى الاسرائيلى لأن الدعاوى الدينية حول القدس

---

(١٨) محاضر جلسات مباحثات الوحدة ـ ١٧ ابريل ١٩٦٣ ـ الدار القومية للطباعة والنشر . العدد ٣٦٩ سلسلة كتب قومية .

(١٩) اتيان هابر ـ زيف شيف ـ ايهوديعارى ـ « حدث فى كامب ديفيد » ترجمة ابراهيم منصور ـ كتاب الأمالى رقم ١٠ يوليو ١٩٦ ص ٧٣٣ .

مثلا متناقضة ويؤكدون على دور العلم الحديث فى تحديد ابعاد هذا الصراع ووسائل حله وليس المنطلق الدينى لأن الكتب الدينية لم يكن هدفها التأريخ للأحداث وحتى بفرض ذلك فى حينه لا ينصرف الأمر للمستقبل · هذا فضلا عن ان الاسلام لم يعاد اليهود بل اعتبرهم أهل كتاب ولم يدخل فى حرب مقدسة ضدهم بصفتهم كذلك وقد درج القرآن على الاشارة ليهود المدينة وما حولها وفضح اساليبهم اما عندما تحدث عن اليهود كاصحاب ديانة فقد اظهر لهم التبجيل وكان يصفهم عادة ببنى اسرائيل (٢٠) ·

وينبغى أن نشير هنا الى آن بعض الاتجاهات الاسلامية المناهضة لاسرائيل ترى ان عبد الناصر كان موقفه ايجابيا تجاه السلام مع اسرائيل وذلك عكس ما هو سائد عنه ويشيرون فى هذا الصدد لوجود علاقة سرية بين عبد الناصر واسرائيل منذ ١٩٥٣ عن طريق سفارتى مصر واسرائيل فى باريس (٢١) ·

ورغم الاتجاهات السياسية المعارضة لمبادرة الرئيس

---

(٢٠) د· محمد رضا محرم - مرجع سابق ص ١٧٥ - ١٨٨ ·

(٢١) محمد الطويل : لعبة الأمم وعبد الناصر - المكتب المصرى الحديث - القاهرة - ١٩٨٦ ص ص ٥٤ - ٦٩ ·

السادات واتفاقيات كامب ديفيد ومعاهدة السلام فان اتجاهات آخرى تنتمي لنفس التيارات السياسـية قد أخذت موقفا مختلفـا وبعبـارة آخرى موقف التأييـد لمبـادرة السـادات بل والدفاع عنهـا وتفنيـد حجج خصومها · وفي دراسة تحليلية لموقف اليسار المصرى من مبادرة السادات اوضح الدكتور عبد العظيم رمضان المؤرخ اليسارى المعرو فما يلى (٢٢) ·

ـ ان حزب التجمع الوطني التقدمي الوحدوى قد اصدر بيانا يوم ١٦ نوفمبر ١٩٧٧ قبل زيارة القدس وبيان آخـر يـوم ٢٨ نوفمبر ١٩٧٧ آى بعد الزيارة انتقدها فيه ·

ـ ان الدكتور عبد العظيم رمضان نشر مقالا فى جريدة الجمهورية يوم ٢٨ نوفمبر للرد على بيان حزب

---

(٢٢) من أجل مزيد من التفاصيل حول هذه المقـالات التى كتبها اليسار الوطني المصرى تايبدا للمبادرة انظر د· عبد العظيم رمضان مقالات ثلاثة فى مجلة أكتوبر بتاريخ ٢ مايو ١٩٨٢ ، ٩ مايو ٨٢ ، ١٦ مايو ١٩٨٢ ·

وكتاب عبد الستار الطويلة « السادات فى اسرائيل : حرب ام سلام » كتاب التعاون السياسى ـ دار التعاون للطبع والنشر القاهرة ١٩٧٨ ويضم هـذا الكتاب تحليلا للموقف الدولى قبل المبادرة وما اعتراه من جمود ومنطق اللاءات الاسرائيلية المعارض للسلام ثم مواقف الدول المؤيدة والمعارضة للمبادرة على الساحة العربية وبيانات حزب التجمع والرد عليها ومقالات د· عبد العظيم رمضان ، فيليب جلاب ، سعيد خيالى والمؤتمر الصحفى للسادات وخطابه فى الكنيست وغيرها ·

التجمع وتقديم وجهة نظر مخالفة لما ذكره الحزب وكذلك فعل صلاح حافظ رئيس تحرير مجلة روز اليوسف السابق فى مقال بتاريخ ٥ ديسمبر ١٩٧٧ واشار الى ان اليسار كان التيار السياسى الوحيد الذى طالب عام ١٩٤٨ بقبول قرار التقسيم والاعتراف باسرائيل كما ان بعض الشخصيات اليسارية أمثال يوسف حلمي ، وسعد كامل اجروا اتصالات مع اليهود الاسرائيليين .

– سلك الدكتور لويس عوض نفس المسلك فى الدفاع عن المبادرة فى مقال له بجريدة الأهرام بتاريخ ٨ ديسمبر ١٩٧٧ وأبرز ان هذه المبادرة ليست الا تتويجا لخط بدأه عبد الناصر بقبول مبادرة روجز وانها نتيجة منطقية لقبول العرب بالحل السلمي واشاد الدكتور لويس عوض بالسادات باعتباره اشجع زعيم عربى .

– وقام عبد الرحمن الشرقاوى بنشر مقال فى جريدة الأهرام بتاريخ ٩ ديسمبر ١٩٧٧ قارن فيه بين مسلك السادات بالذهاب للقدس ومسلك صلاح الدين فى مفاوضة رجال العدو فى معسكرهم وانتقد مواقف دول الرفض وموقف الاتحاد السوفيتى من المبادرة ومن رفض الاشتراك فى مؤتمر مينا هاوس للسلام .

ـ اما الصحفي اليساري عبد الستار الطويلة فقد نشر أربع مقالات في جريدة « التعاون السياسي » وثلاثا في مجلة « صباح الخير » وواحدة في روز اليوسف واصدر كتابا بعنوان : السادات في اسرائيل وصف الزيارة بأنها ضربة دعائية ضخمة هدمت كل ما حققته الدعاية الاسرائيلية عبر ثلاثين سنة كما انها تمثل قوة ضد تعنت حكومة اسرائيل وضد الولايات المتحدة والكونجرس الأمريكي المتعاطف مع اسرائيل • ودحض ادعاءات حزب التجمع بأن الزيارة أدت لمفاوضات مباشرة واعتراف باسرائيل الأمر الذى أفقد العرب مافي أيديهم من أوراق وأكد ان التفاوض المباشر تم في رودس وفي الكيلو ١٠١ وفي مؤتمر جنيف في ديسمبر ١٩٧٣ وان الاعتراف الواقعي باسرائيل تحقق منذ ١٩٤٩ وهاجم جبهة الرفض والموقف السوفيتي •

ـ ونشر سعيد خيال مقالا في جريدة الأخبار يوم ١٢ ديسمبر ١٩٧٧ يحلل فيه موقف الثورة الفلسطينية من مبادرة السادات و أشار الى أن الفلسطينيين وأبو عمار بوجه خاص قد ذكر في خطابه أمام الأمم المتحدة عام ١٩٧٤ «لا تجعلوا غصن الزيتون يسقط من يدى» وتساءل سعيد خيال لمن كان ابو عمار يلوح بغصن الزيتون • أنه كان لاسرائيل بالطبع وانتقد موقف المنظمة من رفض

الاشتراك فى مؤتمر القاهرة فى نوفمبر ١٩٧٧ الذى دعت له مصر ٠

ــ وأخذ نفس الموقف صلاح حافظ فى مقال يوم ١٦ يناير ١٩٧٨ حيث انتقد موقف الثورة الفلسطينية وعدم استفادتها من الدروس والعبر التى استخلصت من الثورات التى سبقتها وأشار للصراع داخل الحركة الفلسطينية وتصفية بعضهم بعضا جسديا ٠

ــ وقام الدكتور عبد العظيم رمضان بنشر مقال فى مجلة روز اليوسف حلل فيه المفارقة فى الأوضاع العربية حيث كانت مصر تؤكد على الحل الشامل والكامل ودعت لمؤتمر فى القاهرة تحضره جميع الأطراف المعنية ٠ فى حين كانت الدول العربية تأخذ بمنهج الرفض والاتهام لمصر ولا تفعل هذه الدول شيئا رغم انها تملك الثروات والسلاح والطاقة كما نشر عبد الستار الطويلة كتابا بعنوان « رفض الرفض : حوار مع جبهة الرفض العربية » حلل فيه المواقف من قضية فلسطين واعتبار الرفض لها كقميص عثمان ــ ومواقف مصر مع الولايات المتحدة والاتحاد السوفيتى والوحدة العربية بل عرض لسياسة الانفتاح الاقتصادى

واختتم كتابه بنداء « ياعرب العالم اتحدوا » (٢٣) ٠

اما بالنسبة للاتجاهات الدينية فقد عبر الرسميون الدينيون من أمثال رجـال الأزهر والمرتبطين بوزارة الأوقاف والشئون الاسلامية عن مواقف مؤيدة للمبادرة وكتبوا عدة مقالات في الصحف اليومية في تلك الفترة تقارن بين المواقف الراهنـة للقيادة المصرية ومواقف مشابهة في فجر الاسلام حيث عاهد النبي صلى الله عليه وسلم الكفار من أهل مكة وعقد معهم صلحا لمدة عشر سنوات ٠

كما اشاروا لمواقف قادة سياسـيين أمثال صـلاح الدين وغيره الذين اضطروا لمهـادنة العدو والسـعى للسلام ٠

وبالاضافة لما سبق نشط الاعلام الرسمي للدولة في تقديم العديد من التحليلات والمستندات التي تدل على مساعي مصر للسلام منذ فترة وان مبادرة السادات ليست الا تتويجا لهذه المساعي ٠

كما قامت وزارة الخارجية بنشر عدة كتب بيضاء

---

(٢٣) عبد الستار الطويلة « رفض الرفض : حوار مع جبهة الرفض العربية » وكالة تلستار بالقاهرة ـ مطابع روز اليوسف ـ ١٩٧٦ ٠

حول السلام ولعل أبرزها كتاب أبيض عن مبادرات السلام التى قام بها الرئيس السادات فى الفترة من ٧١ ــ ١٩٧٧ ــ معاهدة السلام بين مصر واسرائيل وملحقاتها والاتفاق التكميلى الخاص باقامة الحكم الذاتى الكامل فى الضفة الغربية وقطاع غزة الموقعان فى واشنطن فى ٢٦ مارس ١٩٧٩ ــ مصر والقضية الفلسطينية ــ تطبيع العلاقات بين جمهورية مصر العربية ودولة اسرائيل ــ الموقف المصرى من المفاوضات الخاصة بالترتيبات الانتقالية فى الضفة الغربية وغزة ٠ واتصالا بالتحرك نحو السلام نشرت وزارة الخارجية ثلاثة كتب بيضاء لها اتصال مباشر بذلك ، الأول حول « القوة المتعددة الجنسيات والمراقبين » والثانى « مصر والاستخدامات السلمية للطاقة النووية» والثالث «مصر ومعاهدة منع الانتشار النووى» ٠ والواقع ان الكتابين الأخيرين كانا من الثمار غير المباشرة لاتجاه مصر للسلام حيث كان الموقف المصرى التقليدى هو رفض التصديق على معاهدة منع الانتشار النووى منذ ان عقدت تلك المعاهدة عام ١٩٦٨ ولكن مع حرص مصر على تحقيق السلام وللاعراب عن رغبتها فى عدم استخدام الذرة فى الاغراض غير السلمية وسعيا منها للحصول على التكنولوجيا النووية لذا فانها عدلت من موقفها حتى

تستطيع ان تبدأ برنامجا نوويا طموحا لاقامة محطات طاقة نووية في مصر وتحصل على مساعدات ومعونات من الدول الغربية في هذا الصدد ·

والخلاصة : ان التيار السلامي في مصر تيار فكرى أصيل ، عميق الجذور وان كان ثمة تفرقة بين السلام والاستسلام ، كما أنه من الضرورى ان نشير الى ان الهدف المصرى الاستراتيجى لم يكن يوما ما هو الحرب من اجل الحرب بل اللجوء للحرب من أجل تحقيق السلام واسترداد الأرض السليبة وهذا ما سعت اليه مصر بعد ذلك بصبر وأناة للوصول لمشارطة التحكيم حول طابا لكى تلجأ الى التحكيم الدولى وهو أحد الوسائل السلمية لفض المنازعات وفقا للمادة ٣٣ من ميثاق الأمم المتحدة ·

خاتمـة

بعد أن عرضنا الخصائص الاساسـية للشخصـية المصرية وكذلك للنزعـة السـلمية فى المجتمع المصرى وألقينا نظرة على الصراع الفكرى والسياسى الذى يدور فى مصر والذى يعكس حيوية هذا الشـعب صـاحب التاريخ العريق ويوضح دوره الفكرى والسياسى فاننا يمكن أن نستخلص الحقائق التالية :

الأولى :

أن مصر مجتمع يموج بتيـارات متعـددة تعكس الحرية الاعلامية السائدة حاليا فى عهد الرئيس محمد حسنى مبارك من جانب ، كما تعكس ديناميكية الفكر والاتجاهات المصرية من جانب آخر .

الثانية :

أن القيادات السياسية والفكرية والدينية فى مصر الحديثة تتفاعل مع تطورات المجتمع وتسعى للتأثير فيه

وهذا يذكرنا من جانب بمراحل الانتقال فى حياة الشعوب ومن جانب آخر تؤكد رفض مصر لمفهوم السلبية ومن ثم تبشر بالخير لمستقبل هذا الشعب ·

الثالثة :

أنه لا ينبغى النظر للنواحى الانتقادية لاى من قيادات مصر التاريخية من منطوق سلبى بل من منظور ايجابى يرتبط بأنه مهما كانت الشخصية فانها تمثل قيادة وهى بهذا تستحق الاهتمام ومن ثم لها جوانبها السلبية والايجابية ويجب البحث عن كليهما للاستفادة من ذلك فى بناء المستقبل ·

ولاشك أن القاء نظرة على ماضى وحاضر مصر أمر ضرورى للاستشراف والاطلال على المستقبل ومن ثم فمن المفيد أن نشير للحقائق التالية : ـ

الأولى :

أن التحدى الحضارى والسياسى الذى يفرضه قيام دولة اسرائيل فى المنطقة العربية مازال قائما ولابد أن تتم الاستجابة المناسبة له على مختلف المستويات الفكرية والسياسية والاقتصادية وغيرها ·

الثانية :

أن المنطقة العربية بحكم ما تتمتع به من ثروات طبيعية متنوعة وموقع استراتيجى فريد كانت وماتزال مطمع القوى المسيطرة على العالم عبر مراحل التاريخ ولابد أن يدرك العرب ذلك ويسعون لتقديم الاستجابة المناسبة ·

الثالثة :

ان مرحلة النمو الاجتماعي والاقتصادى والسياسى غير المتوازن فى المنطقة العربية تفرض تحديات جسام علـى السـياسيين والمفكرين وقـادة الرأى ولذا فمن الضرورى آن يتقدموا لحمل الامانة من آجـل تحقيق العدالة الاجتماعية على المستوى المحلى فى بلادهم وعلى المستوى الاقليمى فى المنطقة بأسرها ·

الرابعة :

أن المفكرين المصريين بوجـه خـاص عليهم دور رئيسى لا انطلاقا من نزعة شـفونية وانما بنـاء عـلى واقع · فمصر فى مركز القلب فى الوطن العربى، وسكانها يمثلون حوالى ٤٠٪ من الشـعوب العربيـة وهى أكثر

الدول العربية تقدما وتطورا صناعيا واجتماعيا وثقافيا . ولا غرو أن يذهب الأستاذ/فؤاد عجمي وهو أستاذ من أصل عربي يعيش ويدرس العلوم السياسية في الولايات المتحدة للقول « بأن مصر هي البؤرة التي يلتقي فيها التاريخ العربي » .. ويضيف « أن مصر مجتمع متقدم في التعبير . انها تفكر بصوت عال ، ويبحث مفكروها ومثقفوها المشاكل الكبرى ويكتب أدباؤهما عن الرجال والنساء الذين يعيشون في وسط الفوضى (أى الأدب الواقعي) ويتعرضون بمنتهى القوة لقضايا الحرب والسلام » . ونضيف بأن تصوير الأستاذ / فؤاد عجمي هذا في كتابه بعنوان « الورطة العربية : الممارسة والفكر السياسي العربي منذ عام ١٩٦٧ » ليعبر أصدق تعبير عما سردنا من وجهات نظر مختلف المفكرين المصريين وما ذهبنا اليه من عبقرية مصر في صهر فكر أبنائها والوافدين عليها وأهمية اضطلاعها بدورها الريادي في منطقتها وبناء صرحها الداخلي على أسس واقعية سليمة .

الفهـرس

مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب

رقم الايداع بدار الكتب ١٩٨٧/٣٨٣٥

ISBN ـ ٩٧٧ ـ ٠١ ـ ١٣٧٤ ـ ٣

يقدم هذا الكتاب سياحة فكرية ـ من وجهة نظر المؤلف ـ فى تاريخ مصر المعاصر ، قد يتفق معه فيها البعض وقد يختلف ، ولكنها سياحة مهمة لاكتشاف الخريطة الفكرية لمصر المعاصرة . فقد تناول الكاتب التيارات الفكرية والسياسية فى مصر المعاصرة من واقع تحليل مضمون كتابات المفكرين والسياسيين والكتاب المصريين عن القضايا المعاصرة ، فتناول أربعة تيارات فكرية هى : التيار القومى العربى ، والتيار الوطنى المصرى ، والتيار الدينى ، والتيار اليسارى . وتعرض لأهم القضايا السياسية والفكرية : قضية الزعامة بين عبد الناصر والسادات ، وقضية الحكم الإسلامى ، ثم قضية الشخصية المصرية ، وقضية الديمقراطية ، وختم كتابه بفصل خاص عن تيار السلام الذى برز بعد مبادرة السلام المصرية .



مطابع الهيئة المصرية العامة للك

٥٠ قرشا